خميرة الابداع

☆

يوم قالت الانامل الواعية لهذا الازميل القاسي ، حرك حدك في هذا الصخر ، تلفت قدر الى قدر ، وانصبت خميرة الحياة في الجامد الجاثم ، على عرق الجباه ، ورفة الاسارير ، والثنايا ، والاحلام العميقة الصامتة ، والانتظار الحائم .

ومسحت امرأة عابرة وجه التمثال ، فأزاحت عن وجهه الحتات ، والغبار ، والعناكب ثم حدقت في عينه المغمضة فرأت عينه ، ثم تأنت في فمه الساكت فتكلم لسانه ، ثم جست صدره ويده فخفق صدره ، وأسلت يده ، ثم قالت لقدمه : تحركي . . . فكان التمثال انساناً يسير في الرفق والاتئاد والاطياف ، بين روضة تعبق من هنا ، وأكمة تعبق من هناك ، ونهار واقف ، وبحر واقف ، وحداء خفي كأنه في الوهم صوت تبذخ يوم الغضب في حدائق الجنة ، تحت افياء الله .

والتقى الحرفُ الازميلَ فسأله عن الذي بُثَّ في ضلعه ، قال : خذ . . . واعطاه . . فاغتمس الحرف ثم انتشى ، والبحر في قلوب الرمال بين اعصار يتغدر واعصار يتظلم ، وموج يتبهج ، ومراكب تتباصر في الميناء ومراكب تعتل في الآفاق ، وخيال امرأة على اطراف الاهداب ومشارف الخواطر ، ورؤوس الاغصان الميدى .

والتقى الحرف ، الوتر ، واللون ، فتساكنوا ثم همس الوتر على قوسه همساً ، كأنه حفيف الرداء في مواكب العودة ، ثم نبض اللون على لوحه نبضاً ، كأنه نفحان الربيع في وجوه التراب والسماء .

على الازميل والحرف والوتر واللون ، بنت حواء برجها ثم اقتطفت من رنات الازميل ، وصرير الحرف ، وخفقان الاوتار وعصارات الالوان ، اجنحة ثم ركبت الاجنحة في اجنحة هذا الانسان العاقل الجاثم .

لم يطر ولكنه فكر . لم يغب ولكنه انتشى . لم يفن ولكنه تأبد . من هنا اثمرت شجرات الناس فكانت اهراؤهم كتاباً يهدي ، او نغماً يمتد او لوحة تحلم او حجراً يتكلم .

ايها الرفاق ، ايها البناؤون .

اتركوا ! هذه ، الانسانة القوية ، تفتح نوافذ قلوبكم على هوادج النجوم وتشرع صواري افكاركم على مطاف الاعماق وتحرك اقدامكم في مآتي الجبال الناسقة . فخميرة الابداع في يد امرأة ؛ ان الازميل الذي يسقط وحده على التمثال ، حديد صدئ سقط على حجر ، والحرف الذي يحمل وحده الكلام خط ناشف على هشيم ، والقوس الذي يتحرك وحده على الوتر امعاء يابسة على امعاء واللون الذي يمتد وحده على اللوح صباغ على خشب .

ايها الرفاق ايها المشيدون .

ابنوا بيوتكم على زاويتين : واحدة انتم بها لبنات قاسية وواحدة هي القبة العالية التي تشرق منها الشمس على قلوبكم الرحبة .

الياس خليل زخريا

الاسلام في العصر الوسيط

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

ليت شعري أيحمد الناس لأمريكا إيواءها اليوم لحركة الاستشراق في مجموعها ام لا يحمدون. فلعل فريقاً من الحريصين على ان تطرد تلك الموجة المباركة للبحث الاكاديمي القائم على أكثر المناهج العلمية سداداً وعلى سعة في التحصيل منقطعة النظير، مما شاهدناه في أواخر القرن الماضي والثلث الاول من هذا القرن في اوربا، وبخاصة في المانيا وهولنده، — لعلهم ان يتهانفوا وينظروا من عُرض. على نحو ما — الى انتقالها من اوروبا ذات التقاليد الروحية الثابتة الدعائم الى امريكا التي لا تزال بعيدة عن مداناة اوربا في هذا المضمار. وقد يكونون على حق في استشعار هذه المخاوف شيئاً ما وهم يرون الاستشراق المعاصر في هذه الايام — وبخاصة في أمريكا — قد اتجه الى التعميم والى المشاكل المعاصرة والجوانب ذات الدلالة السياسية او الاصداء اليومية اكثر منه الى تلك المسائل الدقيقة والاعمال الفيلولوجية الخالصة، مما قد بدأ يستوي على قاعدة ثابتة كنا نتمنى ان يقوم من فوقها البناء العلمي الذي نرنو بأبصارنا اليه.

واذا كان صحيحاً من ناحية اخرى ان القائمين على هذه الحركة في امريكا هم ايضاً اوربيون في مجموعهم وفدوا على امريكا منذ سنوات قلائل، هجرة قاموا بها لاسباب تتصل بالتطور السياسي في اوربا الوسطى قبيل الحرب الاخيرة، فلا تزال تجري في عروقهم نفس الروح الاصيلة الراسخة القواعد التي أشاعتها اوربا فيهم، فانه يلاحظ مع ذلك ان تلك الهجرة قد أثرت في نفوسهم الى حد ظاهر، فتأثروا بالبيئة الجديدة لا في مناهج البحث ومعالجة المسائل فحسب، بل وخصوصاً وقبل كل شيء في اختيار موضوعات دراساتهم. ولذا يشاهد في انتاجهم انه قد بدأ يتخذ طابع التركيبات الواسعة العامة، مما قد لا تسمح الابحاث الجزئية بعد بالالتجاء اليه. فليس من شك في اننا — في ميدان الاسلاميات — لا نزال بعيدين عن عهد تلك التركيبات العامة، لاننا لم نكد نبدأ الدراسات الفرعية ولما نسر فيها شوطاً ظاهراً يمكن تركيز نتائجه في صور عامة ونماذج اجمالية: ان البحث التمهيدي في المصادر بما يستلزم من عمليات النشر والتبويب والتصنيف وكل ما يعين على اعداد العمل التاريخي لم يؤت ثماره الحقة بعد. على انه ليس معنى هذا أننا نستهجن مقدماً هذا النوع من العمل، فكبار المستشرقين قد لجأوا اليه — وان حدث نادراً، كما فعل جولدتسيهر مثلاً في كتابه «محاضرات في الاسلام» على ما فيه من مطاعن لهذا السبب عينه —، انما نحن نخشى ان يكون هذا هو الطابع السائد في حركة الاستشراق اليوم في امريكا، مع ان فيها طائفة ممتازة من المستشرقين الاوربيين المهاجرين. اذ المشاهد عامة ان نتاج هؤلاء قد اتخذ في مجموعه صورة هذه التركيبات العامة التي قد يحس المرء احياناً بأنه بازائها هو في الواقع امام تعميمات لما تنضج بعد نضجها الكافي. لهذا نتمنى للاستشراق الامريكي ان يتابع نفس السُّنة الحميدة التي سار عليها سلفه الاوربي في الحقبة الاخيرة حتى يأتي بخير النتائج.

ولقد قدر لنا ان نتحدث عن أثر من آثاره في هذا المكان منذ عامين لما ان عرضنا لكتاب «تراث العرب»، ولم نشأ آنذاك ان نبدي هذه المخاوف لان الحركة كانت لا تزال في مستهلها فلم يكن من الميسور ان نصدر حكماً اعتماداً على عرض واحد او قدر ضئيل من الاغراض، كما اننا لم نكد بعد — بحكم ظروف الحرب وملابساتها — على علم بمدى هذا الاتجاه. اما اليوم فقد صرنا

(١) Medieval Islam, by Gustave E. von Grunebaum, The Uniyersity of Chicago Press, Chicago, 1946 في و+٣٦٥ صفحة من قطع الثمن.

أ قدر على الحكم الآن وقد اتيح لنا الاطلاع على قدر غير قليل من آثار هذا الانتاج .

على ان الكتاب الذي نود ان نتحدث عنه اليوم – وان اندرج في مجموعه تحت باب تلك التركيبات العامة التي اشرنا اليها – قد خلا من كثير من تلك الآفاق التي قد تلازم هذا النوع من التأليف . اجل ، ان موضوعه هو دراسة عامة لمرافق الاسلام في العصر الوسيط – اعني منذ نشأته حتى نهاية عهده الزاهر ، اي الى قيام دولة العثمانيين – وعرض لانواع الصلات التي كانت بينه وبين العالم المسيحي المعاصر له ، وتحليل تطور بعض المعاني الرئيسية في الحياة الروحية في الاسلام . بيد انه قد جمع مع ذلك بين التعميم وبين دقة المعلومات وكثير من نزاهة الحكم وقابلية الفهم واذا كنا لا نجد جانب البحث الاصيل موفوراً فيه ، لكن النظرات الصائبة والملاحظات العميقة يزدحم بها هذا العرض الاجمالي ، خصوصاً اذا اتصل البحث بمسائل من اللغة والادب ، فان المؤلف يتجاوز نطاق العرض التحصيلي الى الادلاء بأحكام مبتكرة تكشف عن سيطرة على تلك الناحية خليقة بكل اطراء . وعناية صاحب الكتاب قد اتجهت خصوصاً الى دوافع الاختيار والنبذ ، أو التمثل والاستبعاد للعناصر الاجنبية في الحضارة الاسلامية . ومن هنا وفق كثيراً في الفصل الاخير الذي عقده بعنوان « الاقتباس المبدع » : «اليونان في الف ليلة وليلة» (الفصل التاسع من ص ٢٩٤ – ص ٣١٩) : فقد ربط فيه بين الادب اليوناني – القديم والهليني المتأخر – وبين قصص « الف ليلة وليلة » واستطاع ان يستكشف كثيراً من العناصر المشتركة – على الاقل في الصورة – بين كليهما ، خصوصاً بين الادب الشعبي الهليني وذلك الادب العربي الشعبي الذي يمكن ان يرتد في الواقع الى اصول هلينية وعناصر يونانية شرقية ظلت تحيا في الطبقات الشعبية ولم يعمل القصاص الذين وصفوا « الف ليلة وليلة » الا ان صاغوا هذه القصص الشعبية الهلينية الاصول في صورة عربية هيكلها من الاصل ومادتها ممهجنة بالملابسات العربية الاسلامية واذا كان الاستاذ لتمن Littmann قد سبقه في هذا الباب بأكثر المسائل التي يعرض لها ، فله فضل ايضاح هذه النتائج وتركيزها .

ووفقاً لميله هذا الى بيان التأثر والتأثير بين العالم الاسلامي والعوالم المحيطة به والحضارات التي اتصل بها فأخذ عنها ما اخذ ونبذ منها ما نبذ ، نراه يعقد فصلين طويلين في أول الكتاب (ص ١ – ص ٦٣) لما كان بين الاسلام والمسيحية – ممثلة في الامبراطورية البيزنطية أو الرومانية الشرقية – من صلات : كيف كان الواحد يتصور الآخر وما هي المساجلات الدينية والعنصرية والسياسية التي أثيرت فيما بينها . وهذا الموضوع – موضوع الصلات بين المسيحية والاسلام في العصور الوسطى – قد صار اليوم من الموضوعات التي تعالج كثيراً : فمن الناحية التاريخية نجد كتاب جروسيه R. Grousset عن « ملحمة الحروب الصليبية » L'Epopée des Croisades الذي ظهر منذ عهد قليل ، ومن الناحية الدينية نجد أمثال كتاب فرتش Fritsch : « الاسلام والمسيحية في العصور الوسطى » (برسلاو سنة ١٩٣٠) وفيه يعرض لكتب الردود التي وضعها المؤلفون المسلمون خاصة ، ونشر الأب شدياق لكتاب « الرد الجميل » للغزالي مع ترجمته الى الفرنسية ، على آثار تلك الابحاث التي تعرض لها من قبل أمثال تور أندريه (« نشأة الاسلام والمسيحية » سنة ١٩٢٥) وكارل هينرش بكر Becker (« دراسات اسلامية » سنة ١٩٢٤ – سنة ١٩٣٢) ، ومن ناحية « دراسة الاسلام في اوربا » في العصر الوسيط « في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر » نجد رسالة جيدة كتبها مونريه دي فيار Monneret de Villard (دراسات ونصوص رقم ١١٠ ، الفاتيكان المكتبة الرسولية الفاتيكانية سنة ١٩٤٤) بهذا العنوان . وكل هذه الابحاث تنير جوانب هذه الناحية الغامضة التي ران عليها جهل وتعصب لعهد طويل من الزمان لعله اليوم – بفضل هذه الابحاث وما اليها – قد أوشك على نهايته . وإثارة هذه المسائل اليوم فيها فائدة جُلى ليس فقط من أجل فهم الماضي ، بل ولتكون فيها لنا دروس في المستقبل ، خصوصاً ومن يفكر في الملابسات الحاضرة لا يملك نفسه من أن يصيح : ما أشبه الليلة بالبارحة ! لان الوثبة الكبرى التي تشاهد البلاد العربية اليوم بسبيلها خليقة بأن تعيد التوازن مرة اخرى بين العالم العربي والعالم الغربي ، بعد ان اختل منذ انهيار الامبراطورية الاسلامية في القرن الثالث عشر الميلادي .

والمؤلف في هذين الفصلين انما يلخص هذه الابحاث التي توالت في هذا القرن وأواخر القرن الماضي ويقدم الى القارىء صورة حية بارزة الأسارير يمزجها بقسمات من عنده تزيدها وضوحاً . على ان الذي قد يؤخذ عليه هنا – وفي أكثر فصول الكتاب – انه يكثر من الاقتباسات الطويلة التي قد لا يضطره الايضاح الضروري الى سردها كلها بحروفها ، فقد تتألم وحدة الفصل من المبالغة في ايراد هذه الشواهد . لكن يمكن تبرير طريقته هذه بقولنا ان الكتاب

يتجه خصوصاً الى طبقة أوسع من اولئك الذين قد يكونون في غنى عن ذكر هذا كله ، اذ يجب الا ننسى الطابع العام للكتاب كله. على انه أطال في بعض المسائل الى درجة قد لا نجد لها مسوغاً ويلاحظ كذلك ان الفصلين الاولين كان من الممكن ان يصيرا فصلاً واحداً لان الموضوع واحد والمعالجة تقريباً واحدة، خصوصاً والفصول المختلفة للكتاب من التمايز بحيث لم يكن من الواجب تمييز هذين الفصلين المتشابهين كل التشابه .

وفي الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن نشأة الاسلام ديناً وعقيدة ، فيعرض للاحوال التي ولد فيها وصلاته بغيره من الاديان —كتابية أو سماوية ووثنية —التي كانت في شبه الجزيرة العربية في ذلك الحين. ويذكر أسباباً ستة للنجاح الهائل الذي ظفر به الاسلام وكلها لا تخرج عما هو شائع عـادة ان في الغرب او في الشرق . ويتعرض للقرآن من الناحية الاسلوبية واللفظية فيلخص بعضاً من نتائج ابحاث الاوروبيين في تاريخ القرآن وفي الثروة اللفظية التي ادخلها على العربية. كما يعرج على المسائل الكلامية (التوحيدية) التي اثيرت من حوله ، وفي هذا الفصل يستعرض نشأة مذاهب المتكلمين بصورة اجمالية قد تكون موجزة الى حد بعيد .

اما في الفصل الرابع فيتناول « التقوى » سائراً بها من صورتها الاولى التي وصفها الرسول حتى يتلقاها الصوفية فيشكلونهـا في الصورة الحاسمة القوية التي كانت لها على ايديهم في الاسلام. وهنا يجمل في الحديث عن الصوفية ، حريصاً خصوصاً على بيان العناصر الاجنبية التي يمكن ان تكون على صلة او تشابه معها.

ويعرج في فصل خامس على الجانب التشريعي والسياسي ، فيتكلم عن مسائل من الفقه واصوله وبخاصة فكرة الاجمـاع (ص ١٤٩ — ص ١٥٢) ثم ينتقل من ذلـك الى فكرة الدولة فيعرض نظريتها معتمداً خصوصاً على الماوردي في كتابه « الاحكام السلطانية » الى جانب « مقدمة » ابن خلدون طبعاً.

ويتلوه بفصل عن النظـام الاجتماعي الذي حققته الدولة الاسلامية ويهتم خصوصاً بمركز المسيحيين في ذلك النظام الاجتماعي فيكرس القسم الثاني من هذا الفصل (ص١٧٧—ص١٨٠) لهذه المسألة التي ساهم فيها منذ قليل الاستاذ ماسينيون ببحث قيم صغير عن « المباهلة » سننشره عما قليل مترجماً الى العربية . وخلال هذا الفصل يتحدث عن مذهب الشيعة وعن فكرة الولاء وعن الشعوبية .

وهنـا نصل الى فصل جيد (السابع) هو عندنا خير فصول الكتاب دلالة على اصالة المؤلف ، بعنوان « المثل الاعلى الانساني»

فيدرس هذا المثل الاعلى الانساني كما تصورته الروح الاسلامية فيجده خاضعاً لعوامل ثلاثة : الاول ان الفرد يسلب شخصيته ، وهذا السلب يتم بطريقين : الاول برد الافراد الى نماذج تستبعد فيها المميزات الخاصة ولا يحسب فيها حساب الا لصدق المحاكاة من جانب الفرد للنموذج الذي يتدرج تحته، والثاني طريق يقتاد الفرد الى الاعتقاد بأن الغاية العليا من الحياة هي ممارسة التجربة الصوفية للاتحاد الكامل بالذات الآلهية حيث يختفي كل شعور بالذات الفردية ويزول الأنا . وبواسطة هذا كله ليس فقط تنحل حدود الفرد ، بل وايضاً تكون التجربة بالضرورة واحدة بالنسبة الى جميع من يعانونها ، فتزول بالتالي كل الفوارق التي عساها قد كانت قائمة بين الافراد لما ان أنشأوا يسلكون السبيل الى الاتحاد بالله .

وساعد على هذا التجريد للشخصية والذاتية عامل آخر هو ما يمكن ان يسمى باسم ازدياد « التأدب » في نظرة المسلم الى الحياة واستجابته لها ونقصد بالتأدب ازدياد العناية بالجانب الادبي ، حتى صار « الاديب » النموذج الاعلى في التربية الاسلامية ، ومن هنا اتجهت التنشئة الى ذلك الجانب « البلاغي » ، « الخطابي » ان صح هذا التعبير ، مما قوى من عوامل تجريد الفرد من ذاته المشخصة . والمؤلف هنا يستشهد برسالة من رسائل ابي العلاء المعري (نشرة وترجمة د. س. مرجوليوث ، أكسفورد سنة ١٨٩٨ برقم ٣٥ ، ص ١١٨ من النص العربي، وص ١٣٧ من الترجمة الانجليزية) يرى فيها مثلاً واضحاً على انحلال الفكر والعاطفة الى عبارة موسيقية يضحى فيها بالمعنى في سبيل الجرس والنغم ، مما كان سائداً وذا أثر عميق في الشعوب الاسلامية في آدابها ونظرتهـا الى المثل الاعلى الانساني وتلك ملاحظات عميقة من غير شك وفق فيها المؤلف الى حد بعيد . بيد اننا نلاحظ مع ذلك انه بالغ في هذا الاتجاه الى درجة تتأبى مع ما تدل عليه كثير من الوقائع المضادة . ففكرة « التشبه بالله » « والاتحاد » يجب ألا يفهم منها انه قصد بها الى افناء الذات الانسانية في حض هذه المعاني العامة المجردة فحسب. بل هناك على العكس من هذا تماماً اتجـاه آخر مضاد قد رام من وراء هذه الافكار التي قد توهم الميل الى سلب الشخصية وتجريد الفردانية الى العكس من هذا تماماً وهو الارتفاع بالانسانية الى مرتبة الالوهية حتى تشيع في الالوهية نزعة انسانية، انسانية جداً. فضلاً عن ان ثمت كثيراً من الشخصيات قد حاولت ان تعزز الجانب الانسـاني وتؤكده ضد كل العناصر المهددة لفكرة الشخصية . وهذه ناحية تعرضنا لها بالتفصيل في المحاضرة الاولى من كتابنـا

اطالع في عينيك ...

الى « الملهمة »

✡

اطالع في عينيك زهو طماحي ... وميعة احلامي وكبر جماحي
وذكرى شباب مترف عابق الرؤى ... طفاح بلذات الصبابة ضاحي
واقرأ في اهدابها السحر صفحة ... كصحوة مخمور وسكرة صاح ،
وايماءة عذراء صوحها الهوى ... وسراً على الايام غير مباح

***

عشقتك والدنيا نشيد بمسمعي ... وفرحة هذا الكون رجع صداحي
فديتك ما هذا الشحوب الذي ارى ... بقية شوق واحتضار صباح ؟!
اطلي على الرمل الظمي لينتشي ... ويندى بفيض من شذى ومراح
اطلي . جنون الحب يعصف في دمي ... ويهتف في جفني ويعبق في راحي

***

كفرت قديماً بالهوى المحض ، غرة ، ... وأودعت اسراري ثمالة اقداحي
فرحت ابث الليل اصداء وحدتي ... واحسو قراح المـاء غير قراح
فكنت لي النعمى فآمنت بالهوى ... طهوراً كأنفاس بثغر اقاحي
فلولاك ما ادركت كنه حقيقتي ... وقد كان لي من قبل غير متاح
كأنك من فني صنيع غذوته ... عصارة آلامي وذوب جراحي
هويتك لحناً لم توقعه انمل ... اردده في غدوتي ورواحي
واغنية عذراء في معبد الهوى ... عليها من الآثام فضل وشاح

دمشق — سامي مسوح

« الانسانية والوجودية في الفكر العربي » (ص ١ — ص ٦٤ ، القاهرة سنة ١٩٤٧) بعنوان : « النزعة الانسانية في الفكر العربي » مما لا نحتاج معه ها هنا الى فضل بيان . واندفاع المؤلف هنا انما كان نتيجة لبعده عن الوثائق الجديدة (مثل « رسائل الرازي » ، نشرة كراوس) الحافلة بما يؤيد وجود هذا الجانب الذاتي الشخصي الى جوار الجانب الآخر السالب للشخصية والفردانية في الحضارة الاسلامية . ومن هنا نبهنا الى خطر التعميم في البحث الآن ، والاصول نفسها لا تزال طي قبورها في المكتبات والمخطوطات . وهذا ايضاً يقودنا الى التحدث عن عنصر آخر أهمله المؤلف خلال بحثه هذا كله وهو عنصر الجنس وما كان له من دخل هائل في تشكيل النظرات في الحياة وفي التنشئة التي كانت لكبار المفكرين في الاسلام ، مما جعل المثل الاعلى الانساني لا يقتصر على ذلك النموذج الذي رسمه المؤلف دون غيره .

وبالجملة ، فكتاب الاستاذ جوستاف فون جرونيوم ، الاستاذ المساعد للغة العربية في قسم اللغات والآداب الشرقية بجامعة شيكاجو ، والذي يقيم هذه الايام بيننا وسيمضي العام كله في التجوال بين البلاد العربية حتى يكون على اتصال حي بالبيئة التي كرس نفسه لدراسة آدابها ، — نقول ان كتابه هذا كتاب جيد مليء بالافكار الخصبة الموحية ، وفيه من الاصالة بقدر ما فيه من سعة التحصيل او يكاد ، وهو خليق بأن يعرض للغربي صورة دقيقة القسمات لمرافق الحياة الروحية في الاسلام موضوعاً في اطاره العالمي في العصر الوسيط ، وخليق كذلك بأن ينقل الى العربي في لغته كيما يجد فيه نفسه زاخرة بمعان تتلمس سبيلها في نطاق الروحية العليا .

عبد الرحمن بدوي

الهبوط النفسي

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
مدرس علم النفس التجريبي بجامعة فؤاد الاول

عند بعض الاشخاص نزعة تبيح الخلط بين الراحة النفسية والهبوط النفسي ، ويحاول هذا البعض تحقيق الراحة بالميل الى الركود والابتعاد عن الحركة، والنفور عن كل ما يتطلب بذل نشاط ما . ويعرّض الشخص نفسه الى هذه الحالة من الجمود، معتقداً أنه بذلك يمكنه ان يصل الى الراحة المنشودة. ولكن هذه الطريقة لا تعين ابداً على تحقيق الراحة في حالات الهبوط .

كل انسان مزود بدرجة معينة من النشاط ، تظهر في أفعاله وفي كلامه وفي سلوكه الفطري . فنشهد البعض من الناس يتكلم بسرعة اكبر من التي يتكلم بها الآخرون . ونشهد مثل هذا الفرق كذلك في السير والاعمال والتفكير والخط . ويمكننا التعرف على كل شخص بما اعتاده من السرعة ، وعندما نلحظ في بعض الاحيان تغيراً نبادر بالسؤال ونحاول ان نفهم السبب الذي جعل هذا الشخص يتكلم ببطء او يسير ببطء، ونذهب في تفسير ذلك تفسيرات مختلفة، فنقول بوجود عدم اهتمام أو تكبر أو غير ذلك .

والسرعة المعتادة التي تظهر بها حركات الشخص وأقواله هي ما نسميه ايقاعاً شخصياً . وذلك لان هذه السرعة واحدة تلازم الشخص طول الحياة ، وتظهر في كل نواحي نشاطه الجسمية والنفسية وتكون السرعة ثابتة تقريباً ، فهي مكونة من وحدات زمنية تفصل بين كل الاجزاء التي تتكون منها الحركات والألفاظ ، ووصفت هذا الايقاع بالشخصي لانه يختلف بين شخص وآخر .

ويمكن ربط الايقاع الشخصي بالناحية النفسية لوجود التقارب بين سرعة النطق وسرعة التفكير اذ يعتمد التفكير على النطق ، ويمكنك ان تلاحظ نفسك وأنت تفكر فتجد انها تتحدث بصوت خافت لتتنزّل المعاني في كلمات وجمل .

ونلاحظ من جهة اخرى ان أي تغير نفسي مثل شدة الانفعال يحدث تغيراً في ايقاع التنفس وضربات القلب ، وكذلك شعورنا بالتصنع وادخال مظهر نفسي جديد ، كلما لاحظنا تغيراً في الايقاع الشخصي .

تفيدنا هذه الفكرة للتمييز بين الراحة والهبوط . فالراحة هي الرجوع الى الايقاع الشخصي الطبيعي ، بينما الهبوط هو ابتعاد عنه سواء أكان بالزيادة أم بالنقصان .

ولان الهبوط النفسي يعتبر من أهم اسباب التعب النفسي الذي يحاول الشخص التخلص منه ؛ فيحسن ان اذكر اعراض الهبوط النفسي لتميزها عما يسمى بالراحة السلبية .

ان الهبوط النفسي يكون حالة مرضية حينما يظهر لدى الشبان والكهول وهم في حالة تدعو الى الحركة والنشاط والانتاج والعمل، ولكنهم على الرغم من ذلك يميلون الى الراحة والسكون، ويفضلون دائماً الحلول السهلة والابتعاد عن كل ما يدعو الى بذل مقدار اي مقدار من المجهود .

ان أول سبب لهذه الحالة من الهبوط التي تصيب الشباب ، يرجع في الغالب الى المشاكل الجنسية، فليس الهبوط النفسي راحة نفسية ، وانما هو حالة تدعو الى السكون الذي نلجأ اليه في بعض الاحيان لتحقق الراحة او نوعاً من الراحة . وهذا الخلط وقع عند بعض الناس، لانهم لا يعرفون الا نوعاً من الراحة يكون بمسايرة الرغبة، وبما ان اغلب حالات التعب تحدث هبوطاً يدعو الى السكون، فيخيل للشخص ان الهبوط النفسي المشاهد في عدة حالات دليل على الراحة . ولكن مسايرة الهبوط تساعد على الانحلال وتزيد في النقص الارادي والاخفاق في عملية التكيف والانتاج . ويعقب كل ذلك شعوراً بالنقص وشعوراً بالتقصير وألماً نفسياً مستمراً يظهر في صورة قلق وعدم ارتياح .

ليس من الضروري ان تكون الراحة في صورة هبوط ، لان الشرط الاساسي للراحة هو التكيف مع الوسط الخارجي، واعادة النشاط للتغلب على المشاكل والصعوبة الجديدة التي تهز فجأة وتهدد التكيف .

ويكون الهبوط في اغلب الاحيان ناتجاً عن عدم تكيف ، يشعر الشخص بالهبوط مثلاً اذا كان يعيش في وسط طبيعي قاس، مثل المناطق الجبلية ، ويكون في الوقت نفسه ضعيف البنية لا يقدر على الصعود ، فيتكون لديه في الاول شعور بالعجز والضعف وكذلك الشأن في حالات المرض عندما يضعف الشخص عن مجابهة

اسهل الاعمال ، فيخـامر نفس الشخص ميل الى الحزن يؤدي الى الهبوط . ويمكن للشخص في هذه الحـالة ان يقضي على الهبوط النفسي بطريقة منطقية ، فليس عليـه الا ان يفهم الموقف ويقدر مجهوده ، ويتخلى عن محاولة التغلب بالواسطة الجسمية ، فيمكنه دائما ان يستعين بأشياء خارجة عن جسمه تحقق له بعض الغرض .

فان لم تكن هناك اية وسيلة مادية تساعده على التكيف ، فليس عليه حينئذ الا ان يخضع للامر الواقع ويرضى بالحالة الراهنة وتعتبر عملية الخضوع اي قبول الامر الواقع (Résignation) من اهم العمليات النفسية التي تحقق اكبر قسط من الراحة بعد اليأس من المقاومة ، وعدم امكان التخلص عن الوقوع في الاخفاق .

تحدث عملية الخضوع وقبول الامر الواقع بعد المقاومة ، راحة نفسية لانهـا تقضي على النزاع الداخلي بين الرغبة في العمل وعدم القدرة على تنفيذ هذه الرغبة . وتعتبر عملية الخضوع أول مرحـلة من مراحل الايحاء ،ويمكن للشخص ان يستعملها في حالات كثيرة بعد اعتياده على القيام بها .

وتحتاج عملية الخضوع الى شيء من الشجاعة، يضمنها الشخص بسلامة التفكير واقناع نفسه —بأن المحاولات التي قام بها كي يتغلب على الصعوبات واخفاقه فيها — كاف، ليجعله مطمئناً الى حالته وانه غير قادر على هذا العمل الصعب . وعملية الخضوع بالابتعـاد عن المجهودات المادية التي لا يقدر عليها الشخص، اسهل عمليات الخضوع .

قد يخالط بعض الفتيات هم كبير لنقص في جمالهن وقد يزيد هذا الهم ان كان هناك تشويه في الجسم . والفتيات وان كن يصبن بالعاهات الجسمية مثلما يصاب بها اي شخص ، لكن الاثر النفسي الذي تتركه هذه العاهات في نفوس الفتيات ، لا يقاس من حيث شدة الالم والهبوط النفسي والشعور بالنقص بنسبته عند غيرهن . وهذا الامر واضح لما نعرف من تقدير الفتاة لجمالها واعتداد بانه يحفظ قيمتها بين زميلاتها في ميدان تقدير الشباب لهن .

في هذه الحالات من اليأس وتسلط الشعور بالنقص، يمكن تحقيق الراحة النفسية لدى الفتيات المصابات بعاهات جسمية وما يتبعها من آلام نفسية وليس لدينـا طريق آخر غير عملية الخضوع التي تحقق الاطمئنان وترجع الهدوء الفكري والاستقرار الجسمي ، ويمكن بعد ذلك للفتاة ان تعمل وتعوض نقصها الجسمي بانتاج فكري او عمل اجتماعي .

يستطيع الناس طرد الآلام الجسمية الناشئة عن امراض مهما كانت معقدة ، ولكن الآلام النفسية وما يتبعها من تعب جسمي مستمر وهبوط نفسي متسلط ، لا تزال تفتك بالنفوس وتقضي على الراحة عند الكثيرين دون ان تكون هناك اية مقاومة .

يجب على كل الفتيات المعرضات للآلام النفسية النـاشئة عن الهبوط النفسي والشعور بالاخفـاق ان يحللن انفسهن من جديد ، ويحاولن مجابهة الموقف وبحث أسبـاب التعب . فان كانت هذه الاسباب خارجة عن ارادتها ، وغير خاضعة لقدرتها فلا فائدة في استمرار المقـاومة النفسية وحمل الهم . واحسن وسيلة للراحة ، تكون بمواجهة الموقف والاعتراف بالنقص والتصريح به بينها وبين نفسها اولاً، ثم محاولة التصريح به للآخرين . ان التصريح والاعتراف يجلبان عطف المجتمع ، بينما الاخفاء والمقـاومة يجعلانه يميل الى التشهير والسخرية ، مما يعرض ذلك الشخص المصـاب بالعاهة الى اعنف الثورات النفسية .

وأعترف ان عملية الخضوع ليست بالسهلة في كثير من الاحيان، ولذلك يستعين المريض في الحالات الشديدة بالمحلل النفسي، ويكون عمله في مثل هذه الحالات قـاصراً على الاقناع ؛ واستعمال كل الوسائل المنطقية توصلاً الى حمل الشخص على الرضى بالامر الواقع . فيشعر بعد ذلك مباشرة براحة، حتى يخيل اليه انه كان حاملاً ثقلاً ووضع لهن هذا الثقل المرهق عن كتفيه .

وبراعة المحلل واختباره الحياة وفهمه لموقف المريض واحواله العامة امور تساعد كلها على الوصول الى الغاية في مدة قريبة وبطريق سهل لا يثير الآماً .

ونلاحظ ان عملية الخضوع النفسي ، تحرر الشخص من كثير من القيود والهموم كانت تستهلك كمية كبيرة من نشاطه النفسي، وكانت السبب فيما عراه من هبوط .

والنقطة الهامة في توجيه المصابين بالهبوط ، هو ايجاد ما يثير الاهتمام الذي يحرك النفس ، ويجعل الشخص يميل الى شيء يشغله . ان أغلب المتاعب النفسية التي تنقلب الى آلام ، تنشأ من انقطاع الاهتمام فيخـالط الشخص شعور بالملل وهو يصحب نفسه مع اي شيء ، وتحتاج اثارة الانتباه والاهتمام ، الى لباقة لا يشعر معها الشخص انه موجه لهذا الغرض ، وبطريقة حكيمة تقنعه انه في حاجة الى ما يقدم له كموضوع للتفكير والتقدير .

ولاحظنا ان بعث الاهتمام كان كافياً في بعض الاحيـان لحمل المصاب بالهبوط النفسي على ان ينشط ويتخلص من تعبه وعلى ان يتمتع ايضاً بلذة الحياة وبراحة النفس .

بيت المغرب ــ القاهرة　　　　ابو مدين الشافعي

هذه المدنية الرعناء ...

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

عندما وقعت الحرب العالمية الاخيرة. واجتاح الالمان بولونيا، وعقد الحلفاء النية على المقاومة ؛ وأخذت الدول الاوربية في تعبئة قواها وجيوشها استعداداً للمعارك المقبلة، وتناقلت الاسلاك والصحف أنباء الكارثة ، سرى الذعر في النفوس سريان الوباء المعدي ، حتى لم يبقَ ثمة من يقف على قدميه هادئاً مطمئناً، في طول البلاد وعرضها .

كان ذلك يوم الجمعة في صباح أول ايلول عام ١٩٣٩ . وفي ذلك الصباح . وقفت أتحدث مع صديق لي ، ككل حديث آنئذ ، أي عن الحرب واندلاعها ، فسألني :

— ماذا تحدس ؟ هل ينتصر الالمان ؟ .

أذكر أني اجبته بالحرف الواحد :

— اظن او اقدّر ان الالمان يرجحون الجولات الاولى في هذه الحرب ، ولكنهم سيخسرون النهاية . . .

— وما ظنك بمصير المدنية ؟ أتحسب إن سيعتريهـا انقلاب يغير أسسها ؟ .

— ذلك يتوقف على الطريقة التي ستنهار بها المانيا، فاذا انهارت نتيجة طغيانها وانحراف مبادئها السياسية العـامة ، فإن مستقبل المدنية رائع جميل ، اما إذا جاء اندحارها نتيجة انقسام داخلي ، او نقص في العتاد ، او تخاذل في القادة ، أو نشأ عن قوة مادية اتيحت لاعدائها ولم تتح لها ، فـان المدنية تبقى حيث هي ، على الانسانية أن تغيرها .

ودارت الايام دورتها وانهارت المانيا ، وانتصر الحلفـاء ، وكان عيد النصر في ٨ أيار سنة ١٩٤٥ ، وفي يوم من ايام ذلك الاسبوع ، أسبوع النصر ، التقيت بصديقي ، فقال لي :

— . . وقد ظهر صدق حدسك، ما ظنك بالمصير، مصير المدنية؟

— أتحسب ان الامر انتهى ، واننا فرغنـا من التحقيق ، وانه لم يبق غير الحكم ؟ . . .

— لا . . . ولكن وقع ما كنت تنتظر من انكسار المانيا .

— أعتقد أننا لا نستطيع ان نحكم على المدنية ، مدنية ما بعد الحرب ، الا حين نرى الطريقة التي تحل بها مشكلة فلسطين .

ضحك صديقي لما حسبه دعابة وقال :

— وما علاقة مشكلة فلسطين بالمدنية العامة ؟ !

— القضية — يا صاحبي — هي ان اليهود سخروا كل ما لديهم من مال ونفوذ للقضاء على المانيـا ، وكانت جهودهم في اميركا تعمل عملها المثمر في هذه الناحية، فعلينـا ان نتريث في الحكم، لنرى ما يكون موقف الدول المنتصرة من فلسطين ومشكلتها .

والواقع أننا حيال التاريخ الحديث ، أي التاريخ الذي نحياه ، في غمرة من المشاكل العسيرة التي ينبغي لنا أن نحلها من غير تمهل ولا ابطاء ، لان كل ابطاء يزيد الحياة من حولنا ظلاماً ويشل نشاط النفوس ويقضي على آخر ما تختزن من خير وروحانية ؛ ثم إن الحل الذي ننشده مفروض فيه ان يكون هو الامثل ، لان انصـاف الحلول لا تكون حلولاً من جهة ، ولانها من جهة ثانية ، تفضي الى الاضطراب والنقص في الاعمال ما دامت في ذاتهـا مضطربة ناقصة . ونحن لا نكون قد حققنا في حياتنا شيئاً اذا تركنـا للاجيال التي تأتي من بعدنا مشاكل ينبغي لنا نحن أن نعالجها ، كي ينصرف أولادنا واحفادنا الى البناء والصعود بالبناء . . .

وأول مشكلة أساسية في حياتنا اليوم هي « موقفنا » الخاص كعرب ، كأمة عربية ، من المدنية الراهنة . أنكون سلبيين ام إيجابيين ؟ انتخذ حالة وسطاً بين السلب والايجاب ؟ أننبذ مـا ما نراه طالحاً ، ونأخذ ما نراه صالحاً ؟ .

— لقد كنا، ولا نزال، منقسمين على انفسنا كأمة في اتخاذ الموقف الذي ينبغي لنا أن نتخذه. فقد كان فينا الايجابيون، وكان فينا السلبيون، وكان فينا المذبذبون، وكان فينا الفافاون والمارقون الذين يناصرون أعداءهم على اهليهم، واخيراً، كان فينا الانهزاميون الذين يصعب عليهم النضال، فيستكينون لما يجري غير مبالين بما يجرى ولا بما سيجري...

هذا هو واقعنا — اي الانقسام — تجاه تلك المشكلة، وكان في الحوادث وملابسات الحوادث، وفي الآراء وتشعب الآراء، وفي الظروف وضرورات الظروف، ما يبرر بعض الفئات في مواقفهم الشاذة الغريبة من العروبة، والمدنية العربية، والقومية العربية. ولقد كان لهم أيضاً في بعض المظاهر التي تظهر بها المدنية الراهنة من الانسانية الى المثالية، الى غيرها من شؤون فكرية وعلمية وفنية، ما قد يسمح لهم بأيلائها عين الرضى، وكف الناس عن مهاجمتها، وتصويب الآخذين بها. والعاملين على انتشارها من أهلها أو غير اهلها...

اما وقد افصحت المدنية الراهنة عن جوهرها، وعبرت افضل تعبير عن نفسها في الحل الاخير الذي وضعته لقضية فلسطين، فبإمكاننا الآن ان ندرس هذه المدنية التي يفتخر بها الادعياء الاغرار من الغربيين، ويدعو لها الساذجون المغفلون من الشرقيين، يمكننا الآن، والآن فحسب، ان نتتبع الوجهة التي يتجه فيها العالم بتأثير الحضارة القائمة، وما يجول في حناياها من أغراض وصور، وما انطبع فيها، وانطبعت هي عليه من علل وآفات.

وانما كان هذا الحل لقضية فلسطين «تعبيراً» عن المدنية الراهنة، لاسباب قيمة هامة لا مثيل لها في قضية ثانية أبداً، وهذه الاسباب هي:

١ — أن فلسطين كجزء من الارض، تحمل تراثاً ثقافياً ودينياً وتاريخياً لا يحمله غيرها من اجزاء المعمورة، فهي بذلك تؤلف وحدها «قيمة» انسانية تخف لديها سائر القيم لانها مهد القيم التي تعيش بها الحضارات، فكل متدين، مسيحياً كان او مسلماً او يهودياً، عليه ان يحترم ما فيها من تراث، وكل مثقف يهمه الفكر يجب عليه ان يكون حريصاً على ان لا يعبث بها تعصب، وكل انسان يقيم وزناً لانسانيته، مفروض فيه ان يحافظ على السرير الذي ترعرعت فيه المعاني الانسانية؟

٢ — أن الحل الذي وضع انبثق عن هيئة دولية تضم أقوى العناصر في العالم، فهو يشير الى مدى ما في عناصر العالم من أخلاق واذعان للمنطق وتطلع للمثل العليا، ويبرهن بشكل لا يقبل الجدل على التطور الروحي عند الامم التي اقرته ورضيت به.

٣ — ان الهيئة التي وضعت الحل تألفت في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة، فهي آخر صيغة يمكن ان تعطيها المدنية الراهنة لمجموعة مثلى من البشر.

٤ — ان هذه الهيئة انقسمت على نفسها في اعطاء الحل، فكان انقسامها ايضاً تعبيراً عن انقسام العالم الى ثلاثة معسكرات: الانعزاليين النفعيين الذين وقفوا على الحياد تهرباً من التبعة واستغلالاً للخلاف، الايجابيين مع القوة: قوة المال والنفوذ الدنيوي، والسلبيين الذين انحازوا الى الحق، لان الحق جزء من حياتهم لا يمكنهم ان يعيشوا بدونه.

ارجع الآن الى «القرار» الذي عبرت به المدنية الغربية عن روحها، تجد أن معنى «العدالة» في مفهومها المنطقي المعقول — لا في صيغتها العاطفية القومية — مفقود فيه، لانه لم يسبق في تاريخ الافراد ولا في تاريخ الامم، ولا في تاريخ القضاء منذ وجد القضاء الى اليوم، أن فرض على شخص أن يعطي كيانه لغيره وان يمزق كيانه ليستفيد غيره من تمزيقه. وهذا ما أرادته الدول المتمدنة من فلسطين والعرب...

ثم تأمل كيف تمثلت هذه الارادة وكيف ظهرت، نجد انها سلكت سبيلاً هو العوج بعينه، فقد اخذت رأي أفراد في مصير أمم. وتلك هي عملية «التصويت». كأن هؤلاء الافراد الذين اخذ رأي كل منهم «آلهة» لا يخطئون الفهم ولا يخطئون الصواب ولا يخطئون الحق المجرد، وكأن المصير، مصير الامم قضية منوطة بتقديراتهم وآرائهم واهوائهم، فلأي منهم ان يتحكم بها كما يشتهي!! فالموقف — كما ترى — يتنافى مع منطق الحقيقة التي يسير بموجبها التاريخ. والحقيقة التاريخية التي نستمدها من طبيعة الواقع نفسه، هي أنه ما من أحد يستطيع ان يفرض على إرلندا — مثلاً — ان تكون ملك انكلترا، لان ارلندا للارلنديين وليست للانكليز، واذا اعطى رأيه اي صوته في ان تكون ارلندا للانكليز لا للارلنديين يكون بذلك كمن يعطي رأيه في ان يكون الثلج اسود لا أبيض، اي مخالفاً طبيعة الواقع، واذا أصر على رأيه هذا، انتهى به الامر الى الجنون.

ثم لاحظ ان وراء هذه «الارادة» الحالية من كل ما هو عدل ومنطق «ارادات» فرعية تستهدف غايات لا تمت الى الارادة الاخيرة الا بسبب من استغلال الموقف على قدر ما تستطيع ان تستغل، فروسيا تريد غير ما تريد اميركا، وأميركا تريد غير ما تريد فرنسا، وفرنسا تريد غير ما تريد كندا، وهلم جرا...

فليست هناك « رغبة » شاملة في ابطال باطل او احقاق حق ، وانما هناك طمع شامل في استثمار هذا الخلاف بين الحق والباطل .

وهنا . . . هنا تتركز مأساة المدنية الراهنة ، وتظهر لنا على اوضح ما يمكن ان تظهر ، فان انتصار الاميركان ، اصحاب الفلسفة الذرائعية (البراجماتزم) في الحرب الاخيرة ، أساء للروح الانساني إساءة لا يعلم الا الله مدى ما ينجم عنها من مصائب وكوارث .

الاميركيون ، على وجه الاجمال ، يعتقدون ان ليس للعقل ان يدرك ، ولا للحواس أن تقرر ، ولا للحدس ان يفترض ، فما هذه الاشياء غير « ذرائع » للعمل !! العمل وحده هو الذي يقرر مصير الفكرة ويبرهن على مدى ما فيها من خطأ او صواب ، والقيمة الحقيقية عندهم للعمل لا للفكر . وهم يقصدون بالعمل الفعل الذي ينتج المادة . اما الروح الذي تمارس به العمل ، والطريقة التي توصل للعمل ، والغاية الروحية الاصلية من كل عمل ، فهذه – في نظرهم – اوهام باطلة لا وجود لها ولا فائدة منها .

وهذا يعني من جهة ثانية ان لا معنى للدين اذ لا قيمة للحس الديني ، ولا معنى للاخلاق اذ ينتفي لديهم الحدس الاخلاقي ، ولا معنى ، بقول مختصر ، لكل ما اورثتنا اياه تجارب الانسانية على كر العصور ، منذ فكر الانسان الى يومك هذا . المهم هو ما تعمله ، وما تعمله الآن ، او ما ترجه بشكل آخر .

تلك هي فلسفة العامة من الاميركان ، وتلك هي قاعدة حياتهم ، وتلك هي الفلسفة التي أخذت تفرض نفسها ، بصورة عفوية على العالم بعد انتصار اميركا في الحرب الاخيرة . ولست في حاجة الى اقامة الدليل على فسادها ، ولكني ارسم الآن الاضرار التي تحيق بالمدنية من جرائها ، ولا فرار من هذه الاضرار ، لانها ستبرهن هي على فساد نفسها عملياً . والدليل لا يتضح لها الا حين تتهدم هي وتهدم كل ما يبنى عليها .

غير ان الطبيعي في هذه المرحلة من تاريخ الانسانية هو انسجام الروح الاميركي الحديث مع الروح اليهودي انسجاماً يكاد يكون غريباً ، وما هو بالغريب ، حتى لتحسب أن ثمة « رجعة » في التاريخ تأخذ جذورها في ما وراء نختنصر ، ووراء السبي ، أي الى أظلم العهود التي مر بها العقل البشري .

تصور ان اليهود هم أول من دعا لانتصار اميركا في الحرب الاخيرة ، فقد جاء في مقالة عنوانها « عالم الغد » للكاتب الافرنسي الشهير « أندره موروا » – وهو يهودي – نشرتها مجلة « نيويورك تايمس » عام ١٩٤٢ ، ونقلتها عنها مجلة « فرانس اوريان » في عدد أكتوبر للسنة ذاتها ، جاء فيها ما نصه : « ان انتصار أميركا وحده هو الذي يمكنه ان يرد الى جيلنا عالماً شبيهاً بالعالم الذي عرفناه قبل الحرب » وقد علق على هذه الفقرة صاحب المجلة الافرنسية بقوله متسائلاً : « والحلفاء ؟ وفرنسا ؟ كأن مسيو موروا يرى ان اميركا وحدها هي التي تحارب ! » .

والحقيقة ان اليهود عملوا كل ما بوسعهم على ان تنتصر اميركا ، اي على ان يكون النصر « جائزة » لجهود اميركا ، لا لجهود غيرها ممن قاوموا الفتح الالماني والغزو الالماني ، لمعرفتهم ان اميركا في كيانها الروحي شيء رث خلق متهدم ، يستطيعون أن يستولوا عليه ، وقديماً رد هتلر على روزفلت يوم ارسل اليه والى موسوليني رسالة يحدثه فيها عن الانسانية ، قال له : « أنت الذي قررت في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، ان اميركا لم تدخل الحرب يومئذ الا لما قدرت من ارباح اقتصادية « تجنيها » » .

هذه المدنية اذن ، مدنية ما بعد الحرب ، كما يؤخذ من خطوطها الاساسية التي اخذت تهتز شيئاً فشيئاً ، ما هي الا نتيجة زواج الروح اليهودي بالعقلية الاميركية ، فهي متحدرة روحياً من أصلاب اليهود ، فلما استقرت في ارحام اميركية ، انتجت هذه الفوضى في العقائد والاخلاق ، وقضت على كل ما نسميه « نبلاً » او شرفاً في العلاقات الانسانية ، فكان من المعقول أن تولد على يديها فاجعة فلسطين الاخيرة .

ذلك هو الواقع ، ولا محيص للعرب من مواجهته ، وانما اختص العرب وحدهم بهذه الواقعة المفجعة ، لانهم بحكم موقعهم التاريخي من الحضارة الانسانية مدعوون الى انقاذ العالم من ويلات هذه المدنية ، كما دعوا قبل هذه المرة يوم وقعت الحروب الصليبية ، وكما دعوا عند انحلال الامبراطورية البيزنطية . ثم ان موقعهم الجغرافي ، يحتم عليهم دائماً ان يدفعوا العدوان عن تراث الحضارات الاولى ، ويجعلهم غير مخيرين في احتكاكهم مع الامم ، وجاءت ثرواتهم الطبيعية (منابع البترول ، طرق التجارة) تجعل هذا الاحتكاك أبعد اثراً وأشد تأثيراً ، فاذا هم استغنوا عن العالم ، فان العالم لا يستغني عنهم ، ولا يبيح لهم أبداً ان يستغنوا عنه ، سيما وهو غارق في لجة من الفلسفة النفعية البغيضة .

اذن . . . لا مناص من الجهاد ، و « الجهاد » هنا لا يفيد الدفاع عن حرمات الدين والوطن والحرية والكرامة ؛ كما سبق لاذهان السواد ، وانما هو حاجة طبيعية للعرب في هذا الظرف ، لتحوير اتجاه الحضارة في العالم كله !! . هو حاجة كالطعام ، كالشراب

كالباس ، لا يصح الاستغناء عنه ولا يمكن ، بحال من الاحوال .

وأغلب الظن ان هذه المعركة التي بدأت ، ولن تنتهي الا عندما تنقلب الذهنية العامة التي انشأتها المدنية الراهنة ، لن تنتهي الا عندما يقضى على الروح الاميركي بكل ما تحمل من سذاجة ومادية واستكبار وتنطع ، وهذا يعني ان المعركه الدائرة الآن في فلسطين طويلة ، طويلة لا نفرغ منها بعام ولا بأعوام ، واذا هدأت في فترة ما ، فستعود في الفترة التي تليها بلا فاصل ، أشد عنفاً واحمى وطيساً .

لقد كانت اميركا حتى سنة ١٩٤١ في عزلة روحية عن العالم ، وان كانت قد احتكت به اقتصادياً من قبل ، ولكن الاحتكاك الاقتصادي لا يؤدي الى تفاهم ، ولا يزيد في ثروة ممارسيه من جهة فكرية ، بل يفقر العقل ، حين تكون الصلة مقصورة عليه ، ويجعل الذهن ضيقاً ، ويرد الآصرة بين انسان وانسان ذات لون باهت من الارقام والمعادلات .

يتضح ذلك اذا اعتبرت علاقة اي تاجر شئت بغيره من الناس ، فان التاجر مهما سمت اخلاقه الشخصية ، محصور بحكم مهنته في دائرة ضيقة من الانتفاع المادي ، وهمه متجه نحو الربح ، فلا يمكن ان نعتبره ذا رسالة سامية في الحياة والا فقد صفته كتاجر ، لانه حين يسمو او يتسامى ، يلاحظ حتى في تساميه ، مدى ما يدر عليه موقفه من ارباح . واميركا ، كأمة وكدولة ، ليست ، بعد كل حساب ، غير « تاجرة » .

أخاف .

☆

أأظهر ما بي ، ولا أكتم
وتسمعه خفقة خفقة
هوى ؟ . لست أجرؤ احلم غضيض
أأبدي ؟ حذار ! أأخفي ؟ وهذا
أيبقى تؤرقه خطوة
ورائي درب تجاوزته
وها أنذا واقف حائراً ..
يلفه عن عيوني ضباب
تكاد تكلم ألوانه
تغلغل طرفي في بدئه
وكيف أشياء يصوره

واكشف قلبي لها ، كي تراه
يغني لها في سكون .. هواه !
أغن .. كطفل يقول صلاه ؟
الذي لفه الحلم حتى احتواه .
يهم بها .. أم يدع خطاه ؟
وصبغت بالدم وجه ثراه ؟
أمامي طريق بعيد مداه ،
رفيق الخطى ، يزدهيني رواه ،
وتهمس في مسمعي مقلتاه .
وراح يزين لي منتهاه ،
ويجلبه دافقاً بالحياه !

***

أأخطو ؟ اخاف ! وفي حيرتي
أخاف اخاف اذا ما خطوت

ملاذ يهدهد قلبي حماه
اعود .. وقد عاد حلمي آه !

دمشق حبيب الكيالي

ولما كانت هذي هي اول مرة يحتك فيها العرب بأميركا احتكاكاً روحياً ، فقد ظهرت المسافة الشاسعة التي تفصل بين المدنيتين : الغربية والشرقية ، وحفرت بينهما هوة لا يسدها الا الدم والضحايا والاشلاء ، لانه من المستحيل ان يفهم الاميركي العادي طراز الروح العربي الا بعد ان يتألم .

فعلى العربي اليوم .. على كل عربي ان يضع اميركا في أتون من الآلام حتى تدرك بنفسها ان هذه الشرذمة التي تناصرها من ابناء صهيون ، لا تفيدها في ازهاق حقنا ، لان ازهاق حقنا ، عند آخر مرحلة ، يؤدي الى ازهاق اميركا نفسها .

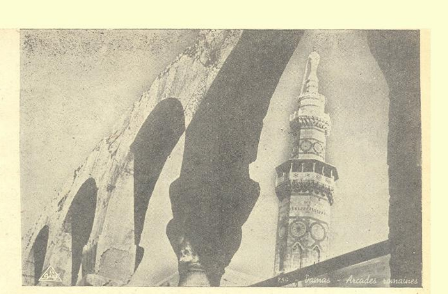
ان العالم كله يجتاز على يد اميركا المنتصرة ، محنة تودي بكل ما فيه من خير وحق وجمال ، فاذا اسلس لها قياده ، فقد وضع نفسه في مأزق هيهات ان ينجو منه ، وهيهات ان يهدأ بعده : ايها العرب ! انقذوا فلسطين تنقذوا اميركا من نفسها وتنقذوا هذه المدنية الرعناء ، وتعيدوها بذلك الى صوابها ...

عبد اللطيف شرارة

مسجد دمشق الكبير

●

بقلم
صلاح الدين المنجد



أُروع ما أبدعه الأمويون في دمشق ، وأول خلق معماري في الاسلام .

يقوم في بقعة من اقدم بقاع العبادة في العالم . ففي زمن اليونان ، قبل ثلاثة آلاف سنة ، كان فيه معبد حداد آله العاصفة . فلما أُلحقت دمشق برومية ، في القرن الاول قبل المسيح ، قام مقام هيكل حداد معبد للآله جوبيتر ، وكان يحيط به سوران لهما مركز واحد . السور الاول الخارجي ، طوله ثلاثمائة وستون متراً وعرضه ثلاثمائة متر وعشرة أمتار . أما السور الداخلي . فكان طوله مائة وستون متراً ، وعرضه مائة متر ، وكان هذا السور الداخلي يحيط بالبيت القدس حيث يوضع تمثال الآله . وكان في الجهة الشرقية والجهة الغربية من السور الخارجي بابان عظيمان ضخمان ، مؤلفان من ثلاثة أبواب . وكانت الدهاليز التي تبدأ من هذين البابين ، تجتاز وعلى جانبيها الاعمدة الكبار ، السور الداخلي ببابين مثلثين ، وتوصل الى بيت القدُس .

وفي القرن الرابع ، اقام الامبراطور تيودوثوس Théodose بزليقه القديس يوحنا المعمدان ، ضمن السور الداخلي للمعبد ، وحافظ على المدخلين الجانبيين[1] .

فلما فتح العرب دمشق سنة أربع عشرة للهجرة اضطروا الى ايجاد مكان يعبدون الله فيه ويقيمون الصلاة : فاتخذوا قسماً من صحن المعبد في الجنوب الشرقي منه ، لصلواتهم ، على ما نرجح لأدلة كثيرة لدينا . وظلوا كذلك الى زمن الوليد حيث ضاق بهم المكان ، وأزعجتهم نواقيس الرهبان[2] ، فطلب الخليفة من النصارى اعطاءه الكنيسة والتخلي عنها ليبني مكانها مسجداً وبذل الاموال ، ووعدهم بالقطائع[4] ودعا الوليد بنائين ونجارين من النصارى[4] وشرع ببناء المسجد الكبير وكان ذلك سنة ٨٧ هـ[5] فرفعوا الكنيسة كلها ولم يُبقوا منها الا السور الداخلي[6] .

على ان هذه الكنيسة اذا رُفع ما كان ظاهراً منها فوق الارض فقد تركت آثاراً لها في الاسس الاسلامية[7] . واصبح المدخلان الرئيسيان ، باب جيرون من الشرق ، وباب البريد من الغرب يؤديان الى صحن واسعة ، على جنباتها الشمالية والشرقية والغربية رواقات قائمات على أعمدة . وعلى جانبه الجنوبي ، المصلّى . وهو مستطيل واسع يتألف من ثلاثة أروقة (او بلاطات) تمتد من الشرق الى الغرب ، موازية للجدار الجنوبي القديم ، يقطعها في وسطها رواق من الشمال الى الجنوب في منتصفه قبة شاهقة قامت على أربعة اركان ، هي القبة

---

(١) Massé, l'Art de l'Islam p. 24
(٢) مسالك الابصار ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٠ .

(٤) Sauvaget, Monuments Historiques p. 38
(٥) النجوم الزاهرة ص ٢١٣ ج ١ .
(٦) Sauvaget, p. 15
(٧) Massé, p. 25

المعروفة بالنسر . وفي صدر هذا الرواق مقصورة الخطابة ومحراب المسجد[1] .

وقد اتخذت له ثلاث منائر : اثنتان في جناحي قبلته : شرقية وغربية ، وأساسها برجان قديمان ، والثالثة في شماله وتعرف بالعروس[2] .

وجعلت مداخله اربعة أبواب أصول : الباب الشرقي امام باب جيرون ، وسمي فيما بعد باب الساعات والباب الغربي امام باب البريد . والباب الشمالي باب الفراديس وسمي بعد ذلك باب الناطفانيين ، والباب الجنوبي وهو باب الزيارة او باب القوافين . تلك هي قصة بناء المسجد ، على الجملة ، وذلك هو تخطيطه .

يعد هذا المسجد ، كما ذكرنا ، رائعة الفن الاسلامي في باكورته ، واروع ما ابدعه الامويون من المساجد ، واول خلق معماري في الاسلام .

وعظمة هذا المسجد قائمة في رأينا على امرين : أصالته في تخطيطه ، وتجاوزه حد الاتقان في زخرفته وترويقه .

أمـا اصالة تخطيطه فقد ادركها المتقدمون وأثبتها المحدثون . ذكروا ان المأمون لما دخل مسجد دمشق ، ومعـه المعتصم ويحيى بن أكثم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ؟ قال المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فانا ندعه في قصورنا فلا يمضي عليه عشرون سنه حتى يتغير . قال المأمون : ما ذاك اعجبني منه . فقال يحيى بن أكثم : تأليف رخامه . قال المأمون : ما ذاك أعجبني . قالا : فما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم[3] .

وملاحظة المأمون دقيقة . وهي تشير الى الابداع الذي في هذا المسجد فهو شيء جديد قلد بعد بنائه (مسجد درعا) ولكنه لم يكن تقليداً لاي بناء قام من قبله .

والحقيقة انـه لم يعرف قبله مسجد مثله . وقد قال المهدي العباسي عندمـا زاره : لا اعلم على الارض مثله[4] .

وكذلك أجمع صفوة أهـل الاستشراق الآثاريين ان تخطيط هذا المسجد لا يشبه تخطيط اي كنيسة بزنطية قامت قبله ، يضاف الى ذلك ان اسلوب بنائه يخالف تقاليد العمارة السورية النصرانية المتوارثة[5] وان انسجامـاً وتوافقاً يظهران في جميع أقسامه[6] .

اما تجاوزه الحد في زخرفته وترويقه فأمر شادت به كتب التاريخ والادب ، وشهدت به الاعين في كل زمان .

فقد جمع الوليد لبنائه حذّاق فارس والهنـد والعرب والروم وأتى مـن القسطنطينية بالآلات[7] وتفنن في زخرفته تفنناً عظيماً حتى لغط الناس وقالوا : لقد محق بيوت الأموال في نقش الخشـب وترويق الحيطان[8] .

والحق ان الوليد أنفق على المسجد في سبيل زخرفته انفاقاً عريضاً . وقد اوضح المقدسي بعض السبب في ذلك قال :

« قلت لعمي يا عم لم يحسن الوليـد حيث أنفق اموال المسلمين عـلى جامع دمشق . ولو صرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمّ الحصون لـكـان أصوب وأفضل . قال : لا تعقل يا بني ، ان الوليد وُفق وكُشف له عن أمر جليل . وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيه

(١) المصدر السابق ص ٢٩ .
(٢) مسالك الابصار ص ١٩٦ .

(٣) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط في الظاهرية)
(٤) مسالك ص ١٩٢ .
(٥) Sauvaget, p. 36
(٦) المصدر السابق ص ٣٦ .

(٧) احسن التقاسيم ص ١٥٨ .
(٨) مسالك ص ١٨٦ .

فسيفساء من القرن الثامن الميلادي



فسيفساء من القرن الثامن الميلادي







المحراب والمنبر

بيعاً حسنة قد افتن في زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة، ولد، والرها فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم به عنهن وجعله احدى عجائب الدنيا[١] ».

كانت أرض المسجد مفروشة كلها بالمرمر. اما الاعمدة فكانت من الملون والمنقوش والمذهب. وقد طليت قواعدها ورؤوسها بالذهب[٢]. وكانت الجدران مؤزرة الى انصافها بالرخام الابيض والاحمر المنقط والاخضر الموشوش والاسود الغُرابي[٣]. وما فوق ذلك فكانت فصوص الفسيفساء.

والفسيفساء فصوص صغار تكون اما من الزجاج الملون وبعضه شاف، او من الحجر المعجون تغشى بالذهب، ويطبق عليها زجاج رقيق، ثم يعجن الجص ونحوه بالصمغ العربي ويبسط على الحائط وترصع فيه هذه الفصوص على اشكال شتى وكتابات تتلألأ بالاصباغ والذهب[٤].

وقد كانت صناعة الفسيفساء معروفة في دمشق. وكانت معظم الكنائس والاديار مزدانة جدرانها وسقوفها واهياكلها بهذه الفصوص المذهبة على ضروب شتى من التمثيل والتصوير. كما عرفها العرب انفسهم من اللخميين والغسانيين والنجرانيين[٥] ومن المرجح جداً ان نصارى الشام هم الذين قاموا بوضع فسيفساء الجامع على نموذجات معينة استمدوا بعض عناصرها من بيئة دمشق نفسها وكانوا يمثلون المدرسة الفنية المحلية التي كانت مزدهرة في سورية حين فتحها العرب[٦].

اما رواية ارسال آلاف العمال من بلاد الروم الى دمشق لوضع الفسيفساء فرواية طعن عليها كثيراً[٧]. ومن المحتمل ان يكون العمل جرى تحت اشراف صانع او صناع بزنطيين معدودين.

حليت جدران المسجد اذن كلها بفصوص الذهب هذه، وخالطت بها انواع من الاصبغة الغريبة مثلت أشجاراً مختلفة او فروعاً من اشجار[٨] نرى بينها الحور والسرو وغير ذلك، كما صوروا سائر البلدان المشهورة بحيث ان الانسان كان اذا اراد ان يتفرج في اقليم او بلد وجده في الجامع مصوراً كهيئته، فلا يسافر اليه ولا يعنى في طلبه[٩]. وكانت الكعبة فوق المحراب[١٠]. وكان فوقه ايضاً كرمة من

---

(١) المقدسي ص١٥٩ وانظر الخزانة الشرقية ص ٣٦٧ مجلة المشرق عام ١٩٣٧.

(٢) مسالك ص ١٩٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٩٦.

(٤) الفسيفساء وصناعها قديماً. حبيب الزيات مجلة المشرق عام ١٩٣٧ ص ٣٣٩.

(٥) المصدر السابق ص ٣٦٥. وانظر معجم ما استعجم للبكري مادة دير نجران. وكذلك معجم البلدان في المادة نفسها.

(٦) باكورة العمارة الاسلامية Creswell T. 1

(٧) الفسيفساء وصناعها ...

(٨) مسجد دمشق (مخطوط) ورقة ٥. فضائل الشام للبصروي (مخطوط في الظاهرية) ورقة ١٢ آ.

(٩) ابن كثير ص ١٢-٩٧.

(١٠) مسجد دمشق ورقة ١٠.

ذهب احمر يقولون انه أنفق عليها سبعون الف دينار[1] .

وقد كشف عام ١٩٢٩ وعام ١٩٤٥ على قسم من هذه الفسيفساء في الحائط الغربي لصحن المسجد، وجدار المصلى الشمالي من ناحية الصحن، وروي فيها قصور ودور ، وأشجار مختلفة مثمرة كالمشمش والجوز وغير مثمرة كالسرو والحور، ونهر يتدفق كأنه بردى، وغابة تذكر بغوطة دمشق ، وملعب للخيل يذكر بميدان السباق الذي بناه الخليفة هشام بدمشق[2] .

والى جانب ما ذكرنا من رخام ومرمر ، وفصوص من الذهب فيها صور البلدان والاشجار والانهار وأعمدة ملونة ومذهبة . كانت ستور الحرير مرخاة على الابواب والنوافذ ، والجواهر تتلألأ فوقها[3] والخشب المنقوش يزين تلك الابواب، وآلاف القناديل تشتعل بالمسك، فتفوح رائحتها ويعبق شذاها[4] .

كل اولئك اثر في نفوس العرب القادمين من الصحراء . فرأوا في المسجد أشاوي لا عهد لهم بمثلها ، فجعلوه احدى عجائب الدنيا وقالوا: لم يكن في الدنيا بناء احسن منه، لا قصور الملوك ولا غيرها[5] .

ان دمشق لتفخر بهذا المسجد الذي أراد الوليد ان تفخر به ، فلقد قال : رأيتكم يا اهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال : تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت ان يكون مسجدكم الخامسة التي تفخرون بها[6] .

ولعل أحسن ما نختم به كلامنا، كلمة كتبها ابراهيم ابي الليث، وكان قد قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فقال: « قدمت دمشق، فانتقلت الى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه . اينما مشيت شممت طيباً ، واين سعيت رأيت منظراً عجيباً ، ثم أفضيت الى جامعه ، فشاهدت فيه ما ليس في استطاعة الواصف ان يصفه، ولا الرائي ان يعرفه . وجملته انه بكر الدهر ، ونادرة الوقت، واعجوبة الزمان ولقد أبقى بنو أمية به ذكراً لا يدرس، وخلفت أثراً لا يمحى[7] . »

دمشق — صلاح الدين المنجد

(١) المصدر السابق . والمسالك ص ١٨٧ وابن عساكر ١-٢٠٦ .

(٢) E. De Lorey, Mosaïques ...

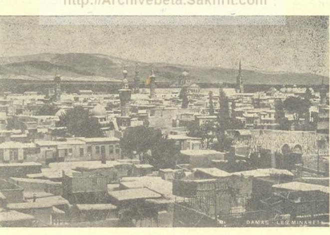
(٣) تنبيه الطالب للنعيمي (مخطوط مسجد دمشق.

(٤) ابن عساكر ١-٢١١ .

(٥) ابن كثير ١٢-٩٨ .

(٦) ابن عساكر ١-٢١١ ومسالك الابصار .

(٧) ابن عساكر ١-١٩٩ .



منظر عام لدمشق



☆

عزيزتي

. . . مهلاً*، فانا كذلك تراودني لحظات احس وخزاً لهذا النداء . فاشعر بصوت ناشز يلطم اذني، وتنبعث على صفحات نفسي اطياف ماض قريب فيه من العنف والقلق ما جعلنا جميعاً موضع عناد وخصومة ، ولكنه نداء يتصاعد من اعماق الليل ، الليل حيث تذوب الحقارات التافهة اليومية وتنبعث الخواطر صافية من صميم الوجدان فلا تمويه ولا خداع ، ولا ضجيج ولا رغوة ، بل دقات قلب تتسع واحساس مرهف يتوفز ، وذكرى تهز الوحدة صفحاتها فتتساقط تساقط اوراق الخريف . هل تدركين في اية ساعة من الليل انا ، اكتب اليك ، هل تعلمين اية دوافع من اخذ ورد نازعتني قبل ان اجمع تحت يدي هذه الاوراق ؟ وهل لديك من بقايا الشجون ما يحفزني الى تتبع هذه الكلمات وانا اعصر من قلبي الكليم صورة امينة لما يتململ في نفسي من صراع ! .

اذا علمت ان الساعة الآن ينقصها بضع دقائق لتبلغ الواحدة من الصباح، واذا قدر لك ان تتصوري ان الكون نائم وان شخصاً يجلس الى هذه الاوراق تحت مصباحه الاخضر ، واذا استبان لك هذا العالم الفسيح الذي يزخر باصدق المشاعر ، نعم اذا تصورت هذا الشخص وهو يخلق هذا العالم وهو اوسع ما يكون انطلاقاً، فليس لك ان تبخلي عليه بهذه القصاصات من الورق . . .

انها اوراق تختلف طولاً وعرضاً، وقد يكون في تفاصيلها ما يزيد حدة الخلاف ، كما قد تحمل بلسم عزاء لروحينا اللتين تلاقتا على صعيد من السعادة فترة من الزمن . انها اوراق مبعثرة . فضلاً عن هذه البقع من الحبر وهذه الخطوط النافرة التي تبدل جملة بجملة ولفظاً بلفظ ، وانني لو اردت نسخها من جديد لما امكنني الابقاء عليها ، اذ ربما تسقط في يدي ساعة من نهار ابرأ منها وامزقها .

ولكن الساعة الآن بعد نصف الليل ، وفي الليل احلام واجواء لا تنفلت من الذهن الا ساعة ينفتح عليها صرير النهار بقاييس يصبغها الطلاء . . .

***

كم مر على ذلك اليوم الذي جمعنا معاً ! انه يوم وان توارى في اعقاب السنين الا انه لا يزال ماثلاً امام عيني . وهل استطيع ان امحو هذه الانطباعات التي رسبت في اعماق نفسي ! لا بأس يا سيدتي اذا استعدت لنفسي هذه الذكرى ففي استعادتها ما لعله يلمس خلجة من خلجات نفسك وفي اثباتها ما قد يعود علينا معاً باللهفة والحنين .

هل سمع عمك خفقات قلبي حين صحبته اليك وتخطيت باب الحديقة ، وهل كان يقرأ على وجهي ما ارتسم في ذهني من خواطر تنساب مع الخيال البكر لتنفتح على دنيا جديدة ، ام ان عمك حين تركني في الحديقة على مقعد خشبي بين الورود ونافورة الماء اراد ان يقطع علي هذه الخواطر فاسرع بك الي، يدك في يده، وعيناك تحدقان بي في براءة وذهول ! .

كانت خواطر رجراجة تتفاعل بها نفسي ولا يذهب بك الظن الى تأويل سريعة خاطئة، فقد تتوق النفس ان تخرج من حيز ضيق لتعبر آفاق مجهولة ، أهو فضول ام انانية ام تطلع الى المجهول ؟ وثقي يا سيدتي انه تعتريني لحظات اقحم نفسي اقحاماً في مسائل تبدو غريبة للناس، وما اظنك تجهلين ما كنت اصبو اليه من



بقلم احمد عويدات

* من مجموعة قصصية بعنوان « شروق » .

اشياء لا يرغب بها احد ، سعياً وراء تجديد هذه النفس التي ليس شيء ابغض اليها من الركود والحياة الرتيبة ، وقد افضل الف مرة ان اعيش حياة السجون والتشريد والانحطاط والفوضى على ان انضبط في هذا القالب الاجتماعي الذي يخنق ويكبت ما باعماقي من انطلاق وقوة تمور بحرارة الشباب . ولعل احداً من اهلك لم يكن ليذهب معي هذا المذهب ، وكأنما تهت عن الغاية التي من اجلها كان وجودي . واصغيت الى الحاضرين فهمت انهم مجمعون على امر واحد ، وانهم يكلونه اليّ . ورحت ، انا وانت ، نتفرد في زاوية خاصة تقرئين علي ما اكون قد امددتك به من كتب عربية للمطالعة ومن مواضيع ادبية ودراسات في تاريخ الادب العربي .

لا اكتمك ما لقيت اول اسبوع من تحفظ واحتراس ، كنتُ اشبه ما اكون بالدمية التي لا حياة فيها ، فلم تك ترتفع عيناي اليك حتى تتسمرا على الارض ، وقلما انطلق في احساس حتى تتقطع انفاسه في صدري . انني لم اكن اسمح لنفسي باشارة اتوهم خيبتها . وقد كنت واهماً كل الوهم حين كنت ارى في هذا الكبت وهذا التزمت ما يرضي حاجة الفتاة الشابة ورغباتها ، ورحت ارتقب باهتمام خفي اتفه الاشياء ، وربما هذه البسمة الرقيقة اوذلك الثوب الذي يتكشف بمتعة واغراء ، عن قصد او براءة ، هما اللذان حركا في نفسي شيئاً من الغبطة ، وبدأت احلل شيئاً فشيئاً من قيودي الثقيلة ، واخذت طباعنا تتصافى وتتقارب لتذوب في بوتقة واحدة من التفاهم المهذب .

وغدوتِ تلميذة وفيّة مطيعة ، واخذت تتقبلين ما ارغب به اليك في لهفة واستزادة ، وغدوتُ بدوري اتحسس ثمار هذا الجهد الذي ابذله ، واكاد اجزم انه بات يصل بيننا نوع من الاسباب يضيق عنه نطاق الدرس ، فتعترينا معاً نشوة من الحبور ، ولعلنا ، انت وانا بتنا نرقب بلهفة هذه الساعة التي تتركين بها رفيقاتك في المدرسة واخلص انا من اعمالي اليومية لنفرغ الى هذه الجلسة الساحرة ، فنقضي ساعة او تزيد نتعاطى معاً على هامشها بعض النوادر الطريفة فتضحكين وتغرقين في الضحك وما كنت ادري انني سوف ادفع من حياتي ثمناً لهذا السراب الذي رسخ في ذهني واستحال الى ما يشبه الحقيقة واليقين .

اين انت ! وكيف تنامين ايتها الغادرة ! ان صوت ضميري يخترق الحجب ويدوي في اذني . ولدي ! لهفتي على محياك ان يغيض معينه . فقد عصرتك امك من جوفها لتلقي بك وكأنك بعض الاقذار !

هذه امك يا بني ، ماذا اقول لها وانا اكتب اليها ! الا تستحق الرجم بالحجارة ! اعندك بقية من الشفقة تأخذها بها ! الهمني يا ولدي ، تكاد تقتلني الوحدة ، وتتساقط علي ذكريات قلقة من النفور والرضا والاستسلام .

اي بني انها ذكريات تنبعث من اعماق الماضي بما فيه من اطياف وشجون تربطني بك و . . . بامك فهل لديك من سعة الحلم ما يسمح لي باثبات هذه الشجون ! .

سيدتي .

سألتك هل انت نائمة ! اما تساورك اشباح احلام مزعجة فتستيقظين مولولة هائمة ام يستعصي عليك النوم فتتقلبين في الفراش يمنة ويسرة مرة تشعلين المصباح لتعودي فتطفئيه ثانية ام حالات غير هذه ، من يدري ! فقد تكون افكارك الآن هادئة كل الهدوء . وقد لا يجد الماضي طريقه الى ذاكرتك بل رسبت آثاره في قعر مظلم من حياتك . من يدري واكاد أجزم بأن حياتك اللاهية ليس فيها متسع لهذه الذكريات فانت على اشلائها تعبين اللذة في نهم وارتواء !

ستقولين : ذلك نتيجة حتمية لما سبق حاضري من تعاسة واكدار . وليس بمستغرب ان تخطط الدموع وجنتيك وان تندبي هذا الظلم الذي حاق بك ، مظلومة انت ، مسكينة ، ما ارق شعورك ! .

تلك كانت فكرة خطرة حين تبدت لي باشكالها المغرية ، وكان هوس جنوني حين اخضعت كل صوت في نفسي لاجعل منك الفتاة التي اريدها ، فنزعت نظارتي عن وجهي بعد ان كنت اتناول الامور معك في تحفظ وهدوء . وبدأت اتقي صدرك الناهد ، وقوامك الرشيق وهذا اللون الخمري الذي اضفته عليك شمس البحر . . .


الاستاذ احمد عويدات

ولعل مع هذه الدروس التي كنت احرص بها على افادتك كانت الصداقة تتحول بمرور الايام الى حب ، حب صارخ عنيف . ولعلي كنت اول شهيد تدحرج في هاوية الظلمة حتى اذا ما ضمدت جراحه واستعاد قواه وتحسس المجتمع الذي يعيش

مع جماعاته تبدى لعينيه فجر عالم جديد فيه من الجدة ما يحفزه الى حمل المتاع والرحيل.

وما كنت لانطلق في حمأة هذا الحب الذي يريده الناس، بل ما كنت ارغب ابداً ان ترسخ في ذهنك مظاهر هذا الحب لتتحول بعدئذ الى ما يشبه اليقين . ما الحب ؟ أهو الشباب الجديدة! أهو البذخ والترف! اهو الزواج! اهو اللهو الذي لا حدود له!! ام ماذا ؟.

انني لم افكر يوماً ان اسألك هذا السؤال لانك لم تدعي لي فرصة اصفو بها الى نفسي، بل دفعتني دفعاً الى كل هذا دون روية وتفكير . ولا اكتمك بعض تلك النشوة التي داخلتني وهاتيك الشهور العشرة التي امضيناها جذلين طروبين، ولشد ما كانت نفسي تتوق الى اشياء لا ينقصها سوى الجرأة حين تعتمدين رجلاً فوق رجل فاذهل في نشوتين من خلب واغراء.

ومضيت معك وبين فترة واخرى ارتد الى نفسي واتساءل: الى اين يا نبيل! اما تعود الى قواعدك! فيجيبني هاجس : ماذا تقول ايها المجنون! انت تكفر بها! هذا الملاك الذي يحرسك! انها خلقت لك لو تعلم، بل انت الذي خلقتها وما هذا التناهي بها الا بداية لعهد يرفل بالنعيم . انت، نعم انت الذي، خلقتها، ستكون «آمال» الزوجة التي تريدها عوناً لرسالتك. تحب الحياة وهذا عنوان الفتوة والشباب . ما اروع اليوم الذي تجلس بجوارك الى المكتب تشحذ همتك وتلهمك طرفاً رائعة من الخلق والابداع.

ستكون لك بكل شيء! بجسمها وروحها، هذا الجسم الذي تتوق الى تلمس روائعه، وهذه الروح التي تنطلق في خفاياها، انها عالم وحدها سوف تستقي من معينها ما يوقظ احساساتك الخفية. اتنكر ما كان لكما في مغارة قاديشا، وكان ذلك بعد نجاحها؟ حين دخلت معها الدهاليز الملتوية، يدك في يدها، تسيران بتؤدة حتى اذا ما تراءى لها حشرة تدب امامها ارتمت بين احضانك في لهفة وغنج . اما تحسست ذاك الوميض الذي شاع في نفسك!

كنت اصغي الى هذه الهمسات في لذة وتفاؤل غريبين. لقد اهتديت الى اميرتي المنشودة اصطفيت رفيقة حياتي. ومن الطريف ان وقع هذه الهمسات اخذ يتسع في نفسي . واخذت انساق مع خيالي الى بعيد ... بعيد ...

كان عهد كل ما فيه ينبض بالقوة، بالامل، بالشباب وهيهات كنت اقوى على الهدوء لابصر ما انا مقدم عليه. لم يكن فكري اذ ذاك خالصاً لي . بل كنت منساقاً وراء هذا الطيف الذي يلازمني كالظل . وكم من ليلة اضع رأسي على الوسادة فتنتصبين امامي عموداً من نور!.

ايتها الشقية التي احببت وما زلت الى الآن ادنو اليها بطرف خفي بيني وبين نفسي . ليت علاقتنا كانت صداقة خالصة ومحبة صافية ليت زواجنا لم يكن. انني اليوم فقط استشعر فداحة الغلطة التي قمنا بها معاً الحق اقول لك، اننا لم نقدم على الزواج الا تلبية لشهوة ونزولاً عند عادة بشرية . حلقة جديدة شدت الى حبل طويل الحلقات . وتلك لعمري حلقة جديده كان احرى بها ان تعيش طليقة من هذه القيود المتماسكة!.

وهل تريدين مصداقاً لما اذهب اليه! اليوم استطيع ان اجهر بعد ان كنت لا اجد فرصة سانحة . وكنت اصرف عن ذهني الى حين هذه الافكار، اما اليوم وقد تهدم كل بنيان بيننا اجدني في حالة مريعة من القلق الذي يساورني ويأخذ علي الخناق .

رباه! الى اين انتهيت! وماذا صنعت! اين افكاري المثلى التي ارتسمت في ذهني حين كنت اذا غنيتِ اطربت، واذا حدثتِ اذهلت. واذا رغبت في شيء اضرمت القلب وتدفقت الحياة! واذا تناولت القلم كتبت بخطك :

من انا، انا وحي سماوي، انا قوة سرمدية خالدة ترفعني الملائكة على اجنحة بيضاء ناصعة.

صحوت من سكري وافقت من كراي العميق، وتطلعت الى أشياء لذيذة . تساءلت، تأملت، فكرت في هذا الشطر الجميل من العمر انه مبعث الانوار!.

من انا! انا لا ادري كيف سأكون، أنا احب ... احب سأكون قطعة موسيقية تبعثها انامل حبيبي الحاناً وانغاماً.

بريق غامض ولغز معقد يتململ في كياني واذا الناس ينظرون الى شخص فلا يعيرونه التفاتاً . ثم تخاطبهم شفتاه فاذا هم تحت تأثير سحري لذيذ ... ماذا اعتراهم وما الذي اصاب عقولهم! ان روحه تخاطب ارواحهم. انهم ليشعرون بتلك الجذوة الملتهبة التي تبعثها كلماته، بل روحه، لابل عيناه، لا بل كل شيء فيه .

اين انت! وكيف انت يا اميري! اني اتمثلك تشق الحائط لتعطرني بانفاسك الحارة . اي شيء يناديك الي ؟ الوجه! العينان الصدرا ماذا!!!.

هذه الكلمات لك والخط خطك، من تخاطبين! اما سألتك مرات كثيرة من تعنين بهذا الامير اما الحفت بالطلب اني النفس بكلمة قصيرة صريحة فما تملكين غير الرثاء. وتخطين بالقلم آهات هي

اقرب الى الشعر وبلغة فرنسية صافية .

«ما تنتظره منذ امد طويل ، تلك الكلمة التي تذوب لسماعها .

« كم اظهرتها لك مناسبات وظروف لو كنت تريدها حقاً .

« واراك الآن تلحف في الطلب .

« يمكنك ان تتحقق هذا المساء .

« اسأل قلبك . . .

« هل يعزز حدسي ! .

« لست ادري .

«رأيت فيك عيباً واحداً واسعى جهدي لازالته . لا تثق كثيراً بالمظاهر ، دعك منها .

« اتصل بالروح او العينين تظفر بما تبتغيه ! » .

اين هذه الاطلال ابكيها فاندب ذكراها ! .

انني ما زلت اذكر وانت حامل هذه الآمال التي كنا نتقاسم لذاذاتها معاً فنتعاون في تخطيطها ، كنت انت اول من اطلق عليه اسم سمير ولما يولد . كنت تنتظرين بلهفة وشوق هذا المخلوق لتسكبي فيه روحاً مثلى صافية بفضل تربيتك وعنايتك . ولكن . . . آه ! وددت لو اعرف من اي صنف من القلوب هو قلبك ، ومن اي صنف من النفوس هي نفسك ؛ وددت لو افسر هذا الجنون واي جنون ، وددت لو افسر هذا الجحود واي جحود ! يا لك من امرأة ! ويا لي من مغفل اعمته المعاني البسيطة ، انا الذي كان يحلم بالصوت العذب يهدهد سرير ابني ، وباليد الناعمة الغضة تربت على كتفي وتحفزني الى مواصلة انتاجي ! وبالانامل الرشيقة تعزف على البيان الحانها الخالدة في نفسي ! انا الذي ترسم الجمال والخير ورضي من دنياه بان لا يتعدى حدودهما ، يا لي من ساذج ! .

انني ما عرفتك برمة الى هذا الحد ، وما عرفت روح الشر تنطبع في ذهنك بهذه السهولة . تريدينني جسداً خالصاً واريدك دعامة لفني ، كأن الزواج عندك لهو وتقبيل ، وانني مــا ذكرت قبلة قطفتها من شفتيك الا وهي لاهبة حارة وما ذكرت ضمة الا وكانت تزخر بالشباب المتعطش . ولكنك نهمة ما اشد نهمك ، برمة ما اكثر تقلبــاتك . اكان يصح ان ترميني بالطيش لانني غادرتك باكراً ذات صباح . وقد شاقني ان اندس بين جمــاعات العمال وهم يهرولون منهم من يقضم رغيفه بانتظار القطار وآخر يقص على رفاقه مشكلته اذا صرف من الورشة وآخر ينظر الى بعيد وقد تغضن وجهه بخطوط واخاديد . . . أهو بعد النظر عندك ان تعدي علي غدواتي وروحاتي في شكل فضولي رخيص حتى اتسعت القطيعة بيننا وغدونا نتراشق بنظرات فيهــا من القلق والعتاب الشيء الكثير .

اين ذلك العهد من الوئام وسمو الادراك وسعة الحلم من ذلك اليوم الذي وقفت به تقولين بجدة وتهجم ، انني لم اعد اؤمن بك . اهملتني كأنني لم اعد اشغل اهتمامك . تغدو باكراً من الصبــاح وقد لا ترجع وقت الغداء ، وربما مر نصف الليل وانت لاه عني ! .

انسيت يا سيدتي ان ابغض شيء الى الاديب ان يعيش على نظام رتيب ! وان من رسالته التي يبشر بهــا ان يجوس الشوارع وربما في ساعات متأخرة من الليل ، وان يحيا في ذات الجماعــات وان يساير رغباتهم وان يحتك بالطبقات يسبر ميولها ويفتت دقائقها ! اما رغبت مرة ان اعيش نفس ذلك الثري الذي اشرف على الافلاس لارى بمنظاره ما يرى ، ولافكر بعقليته ولاتحسس عن قرب هذه المشاعر التي تأخذ عليه تفكيره ! امــا كنت اتمنى ان اعيش ولو ساعة ذلك المجرم الذي يمثل في ضحيته وقلبه يمور بالحقد والشر ، او ذلك السجين المؤبد وقد دفن حياً في زنزانة كريهة فهو لا يرى من السماء الا منفذاً ضيقاً هيهات يدخله شعاع الشمس .

اهكذا تأسرك المعــاني الرخيصة في فهم الزواج ! وهكذا يلبسك الحقد المشبوب بروح الانتقام ! هجرتني بعد ان رميت على عتبة البيت آثار جريمة نكراء ، ولدك ، وهو ابن شهرين بعد ان كنت طوال تسعة شهور تعدين حوائجه وتخيطين ثيابه ! .

عرفتك فعرفت المرأة ، واحسبني رافقتها في مراحل طويلة ، يا لك من مخلوق خطر يقطر العسل والسم فهو حين يخلص في حبه يرفعنا الى الله ، وهو اذ ينقاد مع غرائزه يتمرغ على التراب ! .

الله اكبر ، اشهد ان لا اله الا الله . . . صوت المؤذن يلتمس طريقه الى الله ، ينساب في غمرة هذا السكون فيداخلني احساس روحي يصهر نفسي في بوتقة من التصوف والذهول ، ويشيع في كياني شروق يضفي على هذه النفس الواناً زاهية من الحياة . وداعاً بني وان ذكراك في ضميري لن تمحوها الايام وسترافقني بين جوانحي الى هذه البلاد النائية من بلاد العرب ، وداعاً سيدتي وما بين آخر كلمة اخطها اليك وركوب الطائرة الا ساعة او ساعتــان . انني اترك هذه الاوراق المتفاوتة في الشكل واللون لاعد حقــائبي ، لست ادري أأدس بينها هذه الصورة ام اضمها مع هذه الاوراق ! .

احمد عويدات

تمهيد لدراسة بلاغة الرمزية

بقلم عدنان الذهبي

☆

الرمزية في الفن مدرسة . والثقافات الغربية التي اخذت منذ اوائل العصر المنصرم، تتسرب الى الشرق العربي – الوسنان اذ ذاك في كنف الامبراطورية العثمانية – وتتسرب اليه من الطرق التي كانت السياسة تعبدها بين هذا الشرق العربي وبين مختلف الدول الغربية .. هذه الثقافات اذن، لم يقتصر اثرها على ايقاظ العرب، او على بثروح العلم والعمل فيهم، بل تعدى هذا كله الى فنونهم، وطبعها بطوابع جديدة عدة : هي طوابع التمذهب، او طوابع هذه الرغبة الواعية في تعبئة الجهود من اجل العمل، في الفن، على ضوء مبادىء فكرية واسلوبية معينة، على النحو الذي نراه في هذين الفنين الجميلين : الادب والرسم «اللذين يتفرغ كثير من رجالها اليوم الى العمل على ضوء مدرسة من اعمق المدارس الغربية وامتعها : هي المدرسة الرمزية ...»

وانا ما فكرت مرة في امر هذه المدرسة الرمزية، ولا هممت بان اتتبع الظروف التي اوجدتها في الشرق العربي، كما اوجدت معها فكرة التمذهب بصورة عامة، الا ورأيتني التفت اول ما التفت، الى التاريخ العربي القديم، ابحث فيه عن حركات مماثلة لهذه الحركات المعاصرة، او أستعين بثقافاته ومقاييسه من اجل تقريب هذه الحركات الجديدة من كثير من الافهام، ومن اجل ربطها، بعد كل شيء، بالتاريخ العربي نفسه . ثم اراني، اذا ما تركت هذا الماضي، اراني اتساءل عما نستطيع ان نأمل لمستقبل العرب الفكري والفني من هذه الحيوات الجديدة التي تحياها الفنون العربية، وبصورة خاصة الادب، في هذا العصر الحديث ...

اما المستقبل، فانا آمل له الشيء الكثير ...

واما الماضي فانا كيفما سرحت طرفي فيه، لاربط به الحركة الرمزية التي تعيش اليوم، في الادب بصورة خاصة، وجدتني اقف امام واقعين فكريين ضخمين : هما تاريخ الادب العربي من جهة . والنقد الادبي والبلاغي من جهة اخرى ...

فتاريخ الادب العربي – وهو اذا قيس بغيره من تواريخ الآداب الحية، تاريخ قديم – اذا نحن بحثنا فيه عن فكرة التمذهب بالذات، قبل ان نبحث فيه عن مذهب بعينه، كالمذهب الرمزي مثلاً، خرجنا، بادىء ذي بدء، بان الادب العربي لم يعهد مطلقاً حياة المذاهب الغربية وانه قد كانت له مذاهب ادبية خاصة، تطورت فيه ايضاً تطوراً خاصاً، وان على الاديب المؤرخ، بعد كل شيء، ان يصف هذا كله وصفاً دقيقاً أميناً ..

ولكن الامر بالنسبة للنقد الادبي والبلاغة، وبالنسبة لموقفنا من المذاهب الادبية المعاصرة، اكثر تعقداً مما يظن . وذلك انه ما دام تاريخ الادب العربي قد خلا من حياة المذاهب الغربية، فالنقد الادبي والبلاغة العربيان القديمان، قد جهلا، بدورهما، ما نستطيع ان نسميه النقد والبلاغة المذهبيين . وهذ – كما هو معروف – لان النقد الادبي، وهو بطبيعته موجه، ولان البلاغة، وهي بطبيعتها معيارية، ينشآن كلاهما بعد الادب نفسه، يجرحانه او يعدلانه، ان صح التعبير، ويصلان من هذا الجرح والتعديل الى القاعدة البلاغية .!! واذن، نحن اليوم ان كنا لا يحق لنا ازاء تاريخ الادب الا ان نتقيد باحداثه فنصفها كما كانت، فالامر ازاء النقد الادبي والبلاغة يختلف عن هذا كثيراً لاننا في النقد الادبي والبلاغة، لا يمكننا ان نقتصر على هذا الموقف الا عندما نؤرخ لحركات النقد الادبي والبلاغة القديمين ... في حين اننا اليوم، عندما نشعر بأن النقد الادبي والبلاغة القديمين لا يمدانا بما يسد حاجات الادب المعاصر، علينا ان نعمل، نحن بانفسنا، على بناء هذه الزوايا النقدية والبلاغية الجديدة ... لان هذا ضرورة، وضرورة حيوية مشروعة، يجب ان تتم !! ..

وما هذه الصفحات التي نقوم بها لدراسة بلاغة الرمزية الا محاولة لبناء زاوية مذهبنا الذي نعانيه ونرى انه هو الحق والجمال، الا وهو المذهب الرمزي !!.

***

مثل الرمزية في غموض اساليبها، وفي موقف الادباء والمفكرين منها، مثل ذلك القصر الذي ينتصب هنالك، فجأة، امام نواظر ثلة من السياح،

على قمة جبل او في اعماق غاب ، فيغريهم منظره بارتياد آفاقه والوقوف على اسراره ودخائله .!! وسياحنا هؤلاء —إن يقفوا— يتداولون فيما بينهم امر هذا القصر وامر دخوله ، ها هم ينقسمون فرقاً فرقاً : فريق يقول بوجوب دخول القصر ومعرفة اسراره مهما كلف الامر من مشقة وجهد ، وفريق يرفض هذا مؤثراً عليه السلامة والعافية ، وفريق آخر لا يبالي أدخل الداخلون ام أحجم المحجمون . . . حتى يدخل الذي يدخل ، ويحجم الذي يحجم ، وحتى اذا ما خرج هؤلاء الداخلون وراحوا يقصون على اخوانهم نبأ ما وقفوا عليه في القصر ، رغم جميع العقبات ، من لذائذ وأسرار ، سمعوا اخوانهم يقولون لهم : « جنةٌ ، ولكن حُفّت بالمكاره !! . »

وهذا بالضبط هو حال الرمزية في غموض اساليبها ، وفي موقف الادباء والمفكرين منها : فالطبيعة باجوائها المتنوعة هي الفن ومجالاته المختلفة ، والقصر باسواره الخارجية المنيعة ، واسراره الجبيئة اللذيذة هو الرمزية باساليبها الغامض الشاق واسرارها الماتعة المرموزة ، والسياح بفرقهم ، وبموقف هذه الفرق من هذا القصر ، هم الادباء والمفكرون في موقفهم من الرمزية —وكم من هؤلاء من يؤثر الغموض المسالم والراحة الفكرية على مشقة الغوص على الرموز ولذة الوصول الى اعماقها — !! نعم ، وانا حين اضرب هذا المثل في مطلع هذه الصفحات التي اقدم بها للدراسة بلاغة الرمزية ، لا اضربه ليقول قائل إني ضربته غامزاً ، اشير به الى ما هي عليه الرمزية في تراثنا العربي ، سواء في الاعصر القديمة حيث نراها مجهولة مغفلة ، او في العصر الحديث حيث نراها بالفعل هذا القصر المنيع الذي لا ترتاده الا اقلية ممتازة ممن اوتيت ثقافة غربية جيدة ، فدعمتها في البلاغة العربية الحديثة وأرخت لها . . . !! لا ، وانما اضربه للرمزية في العالم ، اضربه للرمزية على انها رمزية اي هذا النوع من التعبير الغامض الشاق الذي لا بد للمرء من اجل الوصول الى خبيئه اللذ ، لا بد له من ان يتثقف بثقافة خاصة ، وان يكد ويتعب حتى يصل الى ما يريد !! .

الرمزية في الادب العربي

ولكنه، ما دمنا قد اشرنا الى اغفال العرب القدامى للرمزية ، قد يسألني سائل : ما سر هذا الاغفال ؟ ! ? ما السر في ان الرمزية في تراثنا العربي لم يكن لها رجال يخدمونها ، ولا نقاد يفلسفونها ؟! . او ما السر في ان البلاغيين العرب القدامى لم يضعوا لها اسما ، ولم يفكروا في قواعدها واصولها — اللهم الا ما نعرف عنهم انهم قالوا ان الكناية اذا غمضت كانت رمزاً — وهذا اعتبار لا يخدم قط القضية الرمزية اليوم ؟ ! ؟

واقول ، ان الجواب على هذا السؤال ان كان يطول ويطول ، لانه في الحقيقة ، يمس اعماق المكيفات الاقليمية والوراثية والثقافية التي احاطت بالادب العربي القديم الا اننا نستطيع ان نلخصه هنا بهذه الجملة ونقول ان السر في هذا كله هو ان الادب العربي قد خلا من حياة المذاهب الغربية ، او بعبارة اكثر دقة ووضوحاً انه قد خلا من التطور الذي تتطوره الآداب الغربية التي تمر كلها بعد العصر الملحمي بالعصر الاتباعي فالابداعي ، فالواقعي ، فالرمزي ، فالاشتراكي . . !! وأما لماذا خلا الادب العربي هذه من الحياة المذهبية ؟ ! . وكيف كان تطوره اذن ؟ . فيكفينا ان نقول اجابة على هذا في هذا التمهيد ، ان الادب العربي قد كان تطور تطوراً خاصاً ، انه قد تطور تطوراً في حدود الاسلوب ، ان صح هذا التعبير ، يبتدىء بالصنعة في الجاهلية ، ويمر بالتصنع في العصر الاموي ومطلع العصر العباسي الاول ، وينتهي بالتصنيع في عصور الانحطاط واواخر الاعصر العباسية ، كما فصل هذا الدكتور شوقي ضيف في كتابيه القيمين « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » (الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٣) و« الفن ومذاهبه في النثر العربي » (الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٦) .

ونحن اذا ادركنا هذا ، لا نستطيع الا ان نخطىء كل من يحاول اخضاع الادب العربي للمذاهب الغربية ، او يحاول اخضاع التاريخ الادبي للتطور المذهبي الذي تتطوره الآداب الغربية ، كما حاول هذا الدكتور محفوظ في كتابه «الشريف الرضي» بودلير العرب » (مطبعة بيروت ١٩٤٥ ص ٢١ — ٦٠) . فالادب العربي لم يعرف المذاهب الغربية ، كما انه لم يتطور تطورها قط ، وانا نفسي عندما اؤرخ للرمزية العربية ، والبحث هنا وهناك ، وفي كل عصر ، عن نفحات رمزية ، أعلمُ علم اليقين ، كما قد كنت قلت هذا مراراً ، ان هذه النفحات عابرة في حياة الشاعر العربي ، اللهم الا الصوفية والفلاسفة الذين كانت لهم رمزيتهم الواعية الخاصة . . .

ثم ان خلو الادب العربي من هذه المدارس الغربية ، ما اراه يعيب العرب او التاريخ العربي قط ، لان الادب العربي له جماله الخاص ، كما ان الاسلوب العربي نفسه له خصائصه البارزة ومميزاته التي ما تزال تتحكم بالاذن العربية ، هذه الخصائص التي نتطلبها من المنشىء العربي اليوم مهما

رقت عواطفه ومهما سمت افكاره . . . بل انا اقول بعد هذا ان شعراءنا العرب القدامى لو أتيح لهم ما اتيح للشعراء الغربيين من المكيفات الاقليمية والثقافية ، لكان لهم أدب غير أدبهم ، ولتطور هذا الادب تطوراً مذهبياً فكرياً ، كما يتطور ادب الغربيين . . . ولكن شيئاً من هذا لم يكن ، وكان علينا ان ننتظر حتى القرن التاسع عشر لنرى العرب تضطرهم الظروف السياسية الى الانفصال عن العثمانيين والاتراك ، وتضطرهم هذه الظروف نفسها الى الاحتكاك المباشر – رغم جميع الثورات التي قاموا بها – بالدول الغربية المتربعة في بلادهم ، في مصر مثلاً اذا كنا لا نشير الى حملة نابليون الاول عليها سنة ١٧٩٨ ، فهذا الاحتكاك تقوى بعد الاحتلال البريطاني لها منذ سنة ١٨٨٢ ، وفي سوريا كذلك اذا كنا لا نشير الى تدخل نابليون الثالث في لبنان سنة ١٨٦٠ فهذا الاحتكاك تقوى بعد الانتداب الفرنسي الذي فرض على سوريا ولبنان بعد الحرب العظمى سنة ١٩١٩ ، كما فرض في الوقت نفسه الانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن والعراق . . . وهكذا . . . حتى يكون تيقظ العرب ، وتكون نهضتهم الثقافية والعملية ، وحتى تظهر فيما بعد آثار هذه النهضة في فنونهم الآخذة في التقدم ، ويكون المذهب الرمزي ، وهو في اصالة عروبته وليد القرن العشرين ، ثمرة من ثمرات هذا الاحتكاك الثقافي بين العرب والدول الغربية . . .

حاجة واستجابة

نعم اليوم ، في القرن العشرين ، نحن نبدأ بان نعي الرمزية وعياً مذهبياً ، ونبدأ بان نستعمل نعوت رمزي ورمزية بمعنى فلسفي وبلاغي خاصين . . بل اليوم ، في مطلع الربع الثاني من القرن العشرين ، اي بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٥٠ كما سترى ، ، نحن نبدأ بأن نعي الرمزية هذا الوعي المذهبي الجديد . . . ولكننا كدنا نعي هذا ، وما كدنا نصحو له ، متى وجدنا ان هذه الرمزية المعاصرة ، التي يظنها الكثيرون غريبة عن العصر ، بعيدة عن الاذواق ، كما كان يقول لي هذا كثير من الادباء ، وكما يلحد اليه ايضاً الاستاذ احمد الزيات في كتابه « دفاع عن البلاغة » (مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٤٥ ص ١٥٧ – ١٦٢) ، وجدناها اذن اصيلة في عروبتها ، قريبة كل القرب من الثقافات المعاصرة ، تعيش لانها لا بد لها من ان تعيش ، او بالاحرى تعيش لانه مضى ما يقرب من نصف قرن ، ، طويل ، ، يطويه الشرق العربي الناهض بين الترجمة والتأليف والتحرر الاسلوبي ، نقول اذن انه قد مضى ما يقرب من نصف قرن ، على أغراسها التي غرسها جبران خليل جبران في كتاباته ورسومه الرمزية ، وانه ، بعد كل شيء ، ليس من العجيب ان تينع هذه الاغراس اليوم وتثمر . . !!

ولقد ولد جبران خليل في بشراي في ٦ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٧٨٣ ، وتوفي في نيويورك في ١٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣١ ، ولقد تتبعت الحركة الادبية بصورة عامة ، والحركة الرمزية بصورة خاصة قبل مولد هذا الاديب المظلم ، كما تتبعتها في حياته وبعد وفاته ، فوجدت ان الادب العربي قبل جبران كان ما يزال لا يعي فكرة التمذهب الغربية ، وانه رغم اخذه بالنهوض كان ما يزال مكبلاً بالتقاليد الاسلوبية القديمة سواء في مصر او في سوريا ولبنان ، ثم وجدت ان جبران خليل جبران ، بثورته الروحية والفكرية وباسلوبه المبتكر ، وب « الرابطة القلمية » التي اسسها مع ادباء المهجر الشمالي في نيويورك في ٢٩ نيسان سنة ١٩٢٠ ، كان في الحقيقة اول مبشر بفكرة التمذهب من جهة ، كما انه كان بروحانية كتاباته وايحاآت رسومه الرمزية اول مبشر بالمذهب الرمزي بالذات . !!

ثم ان تاسيس « الرابطة القلمية » حدث ادبي هو عند من يتتبع حركة التمذهب المعاصرة ، من الاهمية بمكان . ونحن ان كنا لا نستطيع ان نعتبر هذه الرابطة ، في يوم من الايام ، مدرسة ، الا اننا لا نستطيع ايضاً ان ننكر اثرها في في تهيئة النفوس لتلقي فكرة التمذهب . واما اول مدرسة فكرية وفنية نستطيع ان نطلق عليها اسم مدرسة في المصر الحديث فهي « الامناء » مدرسة الفن والحياة ، التي أسسها رسمياً في القاهرة تلامذة العلامة امين الخولي الجامعيون سنة ١٩٤٤ . ومجال هذا التمهيد ان كان يضيق عن التوسع في الكلام عن هذه المدرسة ومبادئها وموقفها من الرمزية ، كما يضيق عن التوسع في الكلام عن تطورها او تأثر شيخها الفذ بجبران خليل جبران ، او على ادبها الذي تمثله السيدة بنت الشاطىء . فلا يسعني الا ان اعتذر عن هذا واقول ان هدفي في هذا التمهيد ليس الاتيان على افكار هذا العصر بكاملها ، وانما هو ابراز الخطوط الرئيسية التي سارت عليها فكرة التمذهب المعاصرة بصورة عامة ، والحركة الرمزية بصورة خاصة . . .

وها نحن اذن ننتقل الى ابراز خطوط هذه الحركة الرمزية التي كان جبران خليل جبران يبشر بها ، ونفتتح من اجل هذا

اول ما نفتح « دائرة المعارف للبستاني » (مطبعة المعارف بيروت ١٨٨٤) و« دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي» (مطبعة الواعظ بالقاهرة ١٩١٢) ، ونبحث في هاتين الدائرتين اللتين اقل ما يفترضه المرء ازاءهما هو انهما ستأتيان على ما كان يشغل بال العلم في عصرهما، نبحث فيهما اذن عن مادة رمز، وبالتالي عن الرمز والرمزية، فلا نجد فيهما ، مع الاسف ، اي ذكر للرمزية كمذهب، ولا الرمز كاداة بلاغية، اللهم الا ما تذكره « دائرة معارف البستاني » عن اشهر الرموز الفلسفية (جزء ٧ ص ١٦٦٨)، في حين اغفلت « دائرة معارف وجدي » كل حديث تاريخي او بلاغي او فلسفي عن هذا كله . . .

ثم لنترك هاتين الدائرتين ولننتقل الى الحياة الفكرية والادبية نبرز فيها كما كنا نتقول الخطوط الرئيسية التي سارت عليها الحركة الرمزية المعاصرة . . .

فنحن اذا فتحنا كتاب الاستاذ ميخائيل نعيمة « الغربال » (الطبعة الاولى القاهرة ١٩٢٣) فاننا سنجد فيه فصولاً ماتعة في النقد والادب ، ولكننا لا نجد فيه اي ذكر للرمزية كمذهب ولا الرمز كاداة بلاغية، اللهم الا استعمال كلمة الرمز بمعناها العلمي عندما يعتمد الاستاذ ميخائيل نعيمة في معرض دفاعه عن المعنى ؟ على قول علماء النفس ان اللغة مجموعة رموز (المصدر ص ٩١) . !! ثم لندع اجواء المهجريين مع ناقدها الاستاذ ميخائيل نعيمة ، ولننتقل الى مصر ، ونفتح كتابي الاستاذ عباس محمود العقاد « مطالعات في الكتب والحياة » و« مراجعات في الادب والفنون » (ولم اجد فيهما سنيّ طبعها) ثم نفتح كتاب الدكتور محمد حسين هيكل « ثورة الادب » (مطبعة السياسة القاهرة ١٩٣٣) فاننا سنجد في هذه الكتب فصولاً عدة في النقد والادب — وبصورة خاصة الادب القومي — والسياسة والاجتماع والفلسفة ، ولكننا لا نجد فيها اي ذكر المذهب الرمزي ايضاً . !! ثم نترك سنة ١٩٣٣ وندخل في سنة ١٩٣٤ وهي السنة التي طبع فيها الاستاذ ميخائيل نعيمة كتابه الرابع « جبران خليل جبران » (مطبعة الكشاف بيروت ١٩٣٤) ثم نفتح هذا الكتاب الذي يؤرخ لمن هو في نظارنا المبشر الاول بالرمزية، فلا نجد فيه ايضاً اي ذكر واع للمذهب الرمزي الذي يبشر به جبران، اللهم الا ذكر ترد جبران خليل جبران في فن الرسم على المذاهب الغربية ، وعلى الرمزية معها ، (المصدر ص ٧٠) ، او ذكر ابرز لوحات جبران الرمزية، ووصف هذه اللوحات (المصدر نفسه ١٩٧ — ٢١١ — ٢١٢ — ٢٣٥ — ٢٤٠) ، ومثل هذه الاشارات الى الرمزية كمذهب يحتك به جبران : يثور عليه تارة او ينهج نهجه تارة اخرى نجدها كثيراً ، هنا وهناك ، في كتابات جبران خليل جبران ، وفي ما كان يكتبه النقاد عن جبران هذا، مثل ذلك — ونكتفي بهذا المثل — ما كتبه نسيب عريضة في المقدمة التي وضعها لديوان جبران خليل جبران « المواكب » (مطبعة المقتطف القاهرة ١٩٢٣ ص ٧) وهذه الاشارات الى الرمزية كمذهب أدبي جديد قد بدأت تشيع ايضاً في لغة تلك الحقبة التي جاءت بعد جبران ، نجدها في مجلة المقتطف مثلا — ونكتفي هنا بمجلة المقتطف — في عدد مايو ١٩٣١ ، وعدد ديسمبر ١٩٣٣ وعدد يونيو ١٩٣٤، وعدد يناير ١٩٣٥ ، — وهذا العدد يدهشنا فيه غموض فهم ابراهيم عبد الفتاح طوقان للرمزية — ثم نجدها في عدد فبراير ١٩٣٥ وعدد اكتوبر ١٩٣٦ والخ . . . الخ . . من هذه الاعداد التي لا يهمنا منها هنا، بصورة خاصة، الا العدد يونيو ١٩٣٤ حيث نرى الدكتور بشر فارس يعتبر مسرحية «شهرزاد» لتوفيق الحكيم ، مسرحية رمزية . !!

فما معنى هذا كله ؟! .

أليس معنى هذا ان الرمزية حتى سنة ١٩٣٤ لم تكن بعد قد اتضحت معالمها في اذهان الادباء والمفكرين ؟ اللهم الا ما بدأ يعرفه هؤلاء عن غموضها وايحائها، وانها منهج خاص في الفن او بعبارة اخرى انها مذهب !؟ . ثم اليس معناه انه بينا كان جبران خليل جبران يثور ويثور ويبشر بفكرة التمذهب بصورة عامة ؟ وبالمذهب الرمزي بصورة خاصة، كان الادب المصري، مطبوعاً بطابع شوقي الاتباعي وجماعته ، وملتهياً بالدعوة الى الادب القومي بصورة خاصة ؟!

ثم لنسلم بان عبقرية جبران خليل جبران — رغم غلبة الروحانية الرمزية عليها — لم يحدها مذهب بعينه ، فماذا نقول في رسوم جبران الرمزية . ؟؟ ام الرسوم الرمزية التي بدأ شعراء القرن العشرين يزينون بها دواوينهم ماذا نقول فيها ؟!.

فمثلاً ، جبران خليل جبران اذا اخذناه نستشهد به على ادباء المهجر الشمالي او ادباء الرابطة القلمية ، كان يرسم لنفسه رسوم قصائده، كما نرى هذا في ديوانه «المواكب» (طبع المقتطف القاهرة ١٩٢٣) ، وشفيق معلوف ، اذا اخذناه نستشهد به على ادباء المهجر الجنوبي او ادباء العصبة الاندلسية كان يلجأ الى رسامين اسبانيين وروسيين ليرسموا له رسوم قصائده ؟ كما نرى هذا في ديوانه « على بساط الريح » (طبعة سان

— التتمة في الصفحة ٦٢ —

عرب نحن

☆

لم يطلنا ، فراح يعتسف القول : « أعاريبُ » ، ويحه من هباء

عربٌ نحن ، او أعاريبُ ، لا فرق ، سنحيا ، في زحمة الاحياء

ونزود الدنى ، كأمسٍ ، حداة ، بل هداة ، بل دفقة من سناء

ننفح الارض بالسلام ، وبالحب سنحيا ، وبالشذى المعطاء

ونزيح الاشواك ، عن ظهرها القدوس ، ريّا ، باللمسة العذراء

نحن كنا لها ، وما كان غيرٌ ، في ظلام القرون ، دنيا ضياء

همستنا ، في سرها ، شقة البيد ، نداء ، على الرمال الظماء

فسرينا ، مثل الغمائم ، في السكب ، وسقيا البراعم البيضاء

قصة العرب ؛ أي سطرٍ غني ، همرته حناجر الصحراء

قصةٌ ، يحضن الخلود حواشيها ، ويغفو ، مغرورقاً في اكتفاء .

حمص عبد السلام عبود السود

المعذبون في الارض

بقلم يوسف الشاروني

مهداة الى الدكتور طه حسين بك



عندما ولدت له زوجة طفلته الاولى اطلق عليها اسم ربعة، فلما ولدت له في المرة الثانية طفلة اخرى ، لم يحب ان يتشاءم لكنه قال : زين ما اعطى . وهكذا أصبح اسمها زين . ثم ما لبثت زوجه ان ولدت له مرة ثالثة ورابعة وخامسة ... حتى العاشرة ما بين ذكور واناث .

وكان عبد الصمد واسرته يسكنون قرية من قرى المنيا ، هي جزيرة وسط النيل، فكان عليهم ان يعبروا النيل كلما قصدوا المدينة غرباً في يوم من ايام الثلاثاء حيث يقام السوق فيبيعون بعض ما عندهم ويشترون بعض ما يريدون . وكان عليهم كذلك ان يعبروا النيل كلما قصدوا جبل المقطم شرقاً يدفنون فيه موتاهم او ينقبون بحثاً عن الملح ، او ربما عن كنز من هذه الكنوز التي تركها لهم قدماؤهم الفراعنة هناك ، كي تصنع المعجزة في حياة شخص او شخصين من اهل الجزيرة في كل قرن من الزمان .

وهكذا نشأت زين ، واختلطت بأطفال القرية ، وتعفرت بترابها . وقد حدث ذات يوم ان داستها جاموسة وسال الدم منها وظنوا انها اصيبت بضرر خطير ، ثم تبين ان طرفاً من احد اصابع قدميها قد قطع فحسب . وفي سن السادسة اصيبت بقرع خبيث ذهب بشعرها ، وكان مأساة حياتها حتى بلغت الحادية والعشرين ، وقد حاول ابواها كل الطرق المستعملة وغير المستعملة لازالة هذا القرع فلم ينجحا ، واخذها الى طبيب المدينة غرباً والى العرب في الجبل شرقاً ، واكتوت بالنار ووضعت القطران فوق رأسها ، ولكن ذهبت عبثاً كل هذه الجهود .

وكانت ربعة فتاة المنزل المدللة ، لا تكاد تقوم بشيء من عمل المنزل او الحقل . اما الوالدان فكانا اثنين مسرفين في الاتكالية . اذا حدث ان اشتريا لحماً في يوم ما — وندر ما يشتريان — فانهما يستأثران به من دون اطفالهما فيما عدا ربعة . وهما لا يعطيان اطفالهما الا ما بلي من الثياب ، ثياب الام للفتيات وثياب الاب للأولاد . اما القماش الجديد فهو يفصل لهما اولاً ، تفصله لهما زين منذ بلغت الثالثة عشرة او الرابعة عشرة . ولما كانت الام مكسالاً نؤوماً ، فان عمل البيت كله قد القي اذن على كاهل زين .

كانت تقوم في الفجر ان شتاء وان صيفاً ، وشخير امها لا يزال يعلو وينخفض ، ثم تحمل جرتها — التي كانت صغيرة اول الامر ثم اخذت تكبر كلما كبر جسدها وكبر تحملها لمشاق الدنيا وهمومها — وتذهب الى النهر حيث تقابل خادمات العمدة ، وتحسر عنها ثيابها حتى فخذيها وتعوم الجرة قليلاً ثم تملؤها وتعود الى منزلها على مسيرة ثلث الساعة من النهر لتعاود ملء جرتها من جديد . ولما ازدادت حاجة المنزل الى الماء جعلت تحمل جرتها وتسوق امامها حماراً يحمل فوقه جرتين ، ثم لا تلبث ان توقد الموقد لتعد عليه الشاي أسود مراً ، وتتركه يغلي وهي تحلب العنز او الجاموسة . وفي هذه الاثناء يعلو النهار ، ويستيقظ اهل البيت تباعاً وفرادى ، لا يجتمعون للطعام بل يأكل كل منهم عندما يريد وما يريد ، هذا يتبلغ بقطعة من « البتاو » يغمسها في « المش » اللبن الخاثر ، وذاك يكتفي بشرب قليل من الشاي وقليل من اللبن .

كان على زين ان تنظف المنزل وان تروي الجاموسة من النهر في كل عصر ، وان ترج اللبن ، وان تصنع قوالب اللبن حتى اذا ما اجتمع منها عدد كاف ، قامت ببناء غرفة للأسرة التي تنمو وتزداد . وكان عليها ان تذهب الى السوق يوم الثلاثاء كي تبيع البيض وتشتري الحناء والمناديل المحلاة بالترتر . وكان عليها ان تعنى بالاطفال ، تعنى بطعامهم وتنظيفهم ونومهم . وفي كل شهر تقوم بالعبء الاكبر من عمل الخبز حتى اشتهرت بمهارتها في ذلك في القرية كلها ، فكانت تشارك الجارات يوم يخبزن في الايام الاخرى وفي مقابل هذا تحمل معها بعض الدقيق وتصنعه خبزاً لأسرتها .

وكانت زين تقوم بكل هذا لانها تعرف ان شعرها قد ضاع منها ذات ليلة ولن يعود اليها الا في ليلة اخرى من الليالي القمراء . كما اخبرتها بذلك « ام ذهب » قابلة القرية الزنجية ، وهكذا بدأ الحلم ، غير انها قالت لها ان هذه الليلة القمراء ستحمل اليها شعرها وتحمل اليها الموت كذلك ، وهكذا وجد العنصر المروع طريقه الى الحلم ولهذا عندما يكمل القمر بدراً في كل شهر ، كانت

زين تتطلع في امل ويأس الى رأسها ، وتنزع المنديل الذي تخفي به علتها وتتحسس رأسها ، فلا تجد غير البثور وبقايا رائحة الدهان الاخير . وهكذا امتزج لديها ضوء القمر باحساس انساني غريب ، هو مزيج عنيف من الامل واليأس . كانت تتوق الى ان تصحو ذات ليلة ، وهي راقدة في ضوء القمر المكتمل ، فتجد شعرها مسترسلاً ، منسدلاً على كتفيها ، غزيراً وناعماً .

وكانوا يخصصون لها فراشاً لا يقربه احد غيرهـا ، وكانت ربعة تأبى ان تمس زين مناديلها الحريرية . وكانت زين ترتب شعر اختها الطويل الناعم المسترسل ، وهـا هي ذي قد اوشكت ان تتم السادسة عشرة وستزف الى ابن عمها مفتاح ، و قد تدلى القرط الذهبي من اذنيها . اما هي فكانت تعلم انها نجسة ، وان رجلاً لا يأبه لها ، وعليها ان تشكر هذه الاسرة لمجرد تحملهم وجودها وهي ترجو ان تكفر عن وجودها البغيض بما تقوم به من خدمة لا تسمع فيها كلمة شكر او تقدير ، فما اشترته اليوم ليس الصنف المطلوب ويجب ان ترده ، والطعام ليس حلو المذاق ، وهذا الماء الذي جلبته اليوم من النيل ليس كافياً ، والطفل قد تركته ملقى على الارض ، او الشاي ليس مراً كما يجب ان يكون .

ويعلم الله كم بكت زين في وحدتها التي قلما كانت تحصل عليها ، ويعلم الله كم من مرة فكرت في ان تموت — لولا ان املاً يائساً يداعبها كلما مرت بمنزل العمدة او كلما قابلت خادماته على البحر يملأن جرارهن ، وهن يتحدثن عن ميهوب ابن العمدة الغرير ، وعن مغامراته النسائية وهو لما يبلغ الثـامنة عشرة . كانت تحب فيه عبثه وخشونته . وكانت تعلم انه على استعداد لان يضم اليه اي جسد نسائي . فهو في المدينة لا يأنف ان يتصل بشحاذاتها وعاهراتها ، وهو في القرية لا يأنف ان يغازل الفتيات الاجيرات وهن يجمعن القطن . وكان يداعبها الامل ان يقترب منها يوماً ما ، وهي تدرك خطورة هذا المعنى ، كما تعرف استهتار ميهوب بكرامة الناس ، وتعرف طيشه ونزقه وانه لن يلبث ان يقص القصة على اصدقائه وغير اصدقائه . كان ابوه حاكم القرية ومالكها ، وله رجال اشداء لا يخضعون لقانون ولا يؤمنون الا بعرف صاغوه لانفسهم ولمصلحتهم . وهؤلاء العبيد المعذبون يحيون من فضلاتهم .

اما الفجر فما اجمله في ريفنا المصري ، وأما الليالي القمراء فما أروعها . وبين الفجر واعماق الليل يكدح الفلاحون في أرضهم السوداء منذ أجيال وأجيال . وهذه زين قد خرجت الى الحقل وهي في العشرين ، تتمايل وراءها ضفيرتاها الطويلتان المستعارتان ، وهي تحلم باللذة المفقودة العارمة . وكانت الريح شديدة ، والبرد لاذعاً ، والعيدان الصغيرة الخضراء ترتجف ، والقمر يتدثر بين السحب . اما هي فكانت تنتظر بلا يأس ، كما ينتظر كل انسان منا نهايته .

وفي ضوء القمر الناعم رأت فرساً آتية ، فاقشعر جسدها اذ أدركت انه ميهوب . ودوت في أعماقها صرخة مرعبة : قرعاء ! قالها اليوم اخوها لها ، وطالما سمعتها من قبل حتى لكأنها اصبحت اسمها . قرعاء . . قرعاء . . قرعاء . . . وظلت الكلمة تعلو وتتضخم ، وتتضخم وتعلو حتى رأتها تسبح امامها في ضوء القمر ، ثم تدور في دوائر حلزونية : قرعاء . . قرعـاء . . قرعاء . . والدوران يشتد ويشتد ويرتفع ويرتفع في السماء صاعداً نحو القمر ، حتى عبر ميهوب . اما القمر فكان لا يزال يرتج كأنما كان يغتسل لتوه في مياه تضطرب ، ثم أخذ يهدأ قليلاً قليلاً . حتى اذا مـا استقر اكتشفت زين فجأة انه اقرع مثلها !

ويبدو أن شفاءها وموتها كانا قد اقتربا بأسرع مما ظنت . ففي هذه الليلة الباردة المقمرة هبط على القرية رجل من هؤلاء الشعراء المشردين ، يغني على ربابته ويحمل سره في حقيبته . حمله القارب الاخير الذي رسا على شاطىء الجزيرة الشرقي عند مغيب الشمس وتطلع البدر من وراء تلال المقطم . وقد رآه اهل القرية وهم يعودون مع المساء الى منازلهم يقودون ماشيتهم ويحملون بعض حصادهم . ورووا أنه يضع عمامة بيضاء ، ويرتدي عباءة ملونة مأخوذة اجزاؤها من ألف ثوب وثوب . وقد هبط اولاً ضيفاً على العمدة ، حيث استأثر به ثلاثة أيام ، ثم نزل يطوف بالقرية ويعود كل مساء ليبيت في منزل العمدة . وقد لمح زين اثناء تجواله وغنائه وعرف علتها ، وعرض ان يشفيها لقاء مبلغ زهيد من المال لم يكن ليستطيع عبد الصمد ان يجده .

كان عبد الصمد يؤجر الارض من العمدة ، وكان الايجـار مرتفعاً قاسياً لا رحمة فيه ولا مفر منه . وما يتبقى من ثمن المحصول يكاد يكفيه لان يعيش وأسرته الـتي تتضخم حتى المحصول الجديد . وسرعان ما تبتلع المدينة المحصول ، ويبتلع العمـدة الثمن . وقد شك اهلها في قدرة هذا الرجل على شفائها ، اما هي فكانت تحس انه لو ذهب بغير ان يحاول وسيلته فستعذب عذاباً لا يطاق . فهي تدرك ان شفاءها سيتم في محاولة من بين ألف

محاولة ، وستظل تذكر ان هذه ربما كانت فرصتها التي لن تعود الا بعد عشرات السنين . لهذا ظلت ثلاث ليال ترقب القمر وهو يتأخر في صعوده وينقص في حجمه حتى عرفت وسيلتهـا الى الشفاء والموت .

وقد قامت في صباح اليوم التالي بواجباتها المنزلية باضطراب ولكن بلا ذلة وانكسار ، وسمعت الشتائم والاهانات ولكن بلا بكـاء . وفي المساء سرقت القرط الذهبي الصغير الذي لا تملك امها سواه ، فحق ان يكون لها قرط مثلما كان لاختها يوم زفافها . ثم خرجت في عصر ذلك اليوم تروي جاموستها كعادتها وتخفي القرط بين ثيابها ، غير انها لما عادت كانت تحمل معهـا دهاناً ستدهن به رأسها شهراً كاملاً ، ثم ينمو شعرها سريعاً ، اسود ناعماً وغزيراً . ومنذ هذه اللحظة اختلط الحلم بالواقع في حياتها .

وثمة فترة تمر بالانسان فيها يجتـاز حلم حياته مأزقه الكبير ، فاما ان يشق طريقه في الارض والوحل واما ان يجد أجنحة يسير بها في الهواء ، وكان على زين ان تختار احدهما . ولعلها اختارت الطريق الاول ، ولعلها فضلت الطريق الثاني ، على انها كانت تعلم ان كلا الطريقين يؤدي بها الى الشفاء والموت .

وفي احلام المعذبين تتحقق اللذة والتكفير عـن هذه اللذة بعجلة وبنفس العنف والقسوة . ولهذا استطعنا بسرعة ان نقترب من لحظة خلاصها المروعة ، عندما اتمت الحادية والعشرين ونزعت منديلها الكريه ومزقت شعرها المستعار وفضحت للناس سرها . انسدل شعر ناعم رائع طويل . وبدا وجهها مشرقاً وضاء يفيض بالحيوية والحياة والرغبة العربيدة الجامحة . وكان القمر قد اكتمل اذ ذاك ولفحت الرياح الباردة عيدان الحقول الغضة .

في تلك الليلة ادركت الام ان انسدال شعر ابنتها على هذا النحو المفاجيء المغري يحمل معنى خطراً ، غير انها ضلت بحثاً عن المعنى . لعل ان تتزوج ابنتها فتفقد بذلك شيئاً من كسلها الذي تتمتع به منذ بلغت زين الثالثة عشرة . ولعله شيء آخر اخطر من هذا . . . آه ، لعله يفضح سر اختفاء القرط الذهبي في ليلة باردة كتلك من ليالي الشتاء الماضي ، عندما كان القمر يصاعد متأخراً قليلاً وناقصاً في حجمه بعض الشيء . وكان قد شاع في القرية ان زين سرقت قرط امها الذهبي وذهبت الى دار العمدة حيث كان ميهوب والشاعر المتطبب يجلسان ، فاقتسما جزئي القرط بينهما ، الواحد ليشفيها والآخر كي يصمت . وهذا السر كانت قد اذاعته زين اولاً على حكروش عبيط القرية ، وما لبث حكروش ان اذاعه على الحلاق مرزوق ، وهذا بدوره نقله الى زوجه ، وهكذا سرى الخبر حتى وصل الليلة — وبعد عام — الى منزل عبد الصمد .

وثارت غريزة الام الاقتصادية ، وادركت فجأة بشجاعة الفقر الذي تحيا فيه وقيمة القرط الذهبي . وانهالت ضرباً على ابنتهـا وهي تصيح : أين قرطي ؟ أين قرطي؟ وزين تنكر وتبكي . اما الأم فلم تعد تأنف من رأس ابنتهـا ، بل اقتربت وامسكت بشعرها الطويل الناعم ، ثم شدته وشدته ، حتى غره ضوء القمر .

في تلك الليلة تسللت زين هاربة من منزلها تسعى مكرهة الى منزل اختها ربعة وهي تجفف دموعها . غير انها كانت تحس لاول مرة ان ثمة أنيساً معها ، يغمر رأسها وكتفيها نوراً وحناناً . فلم تعد تخشى الهرد ، ولا ان ترعبها الضباع التي دخلت القرية في عام جفت فيه مياه النيل واحترق الزرع والتي يقال انها ترتاد الطريق الواقعة على حدود القرية والتي تسير فيها زين الآن . فهذه الطريق وحدها هي التي تأذن لها ان تمر عـلى منزل العمدة المضيء ، لعل ميهوب يلمحها بوجهها المشرق ورغبتها الجامحة ، فيعجب بها وهي تعدو خجلى من غير ان يعرفها . ورأت العين ان الضفيرة الخضراء ترتجف ، والقمر يتدثر بين السحب ، وحلمها الكبير يملأ الارض والسماء ، حتى احست انها تسير فوق الهواء . وفجأة سمعت وقع خطوات فرس مقبلة .

في تلك الليلة أشبعت زين رغبة بلورتها سنواتهـا الاحدى والعشرون . واذن فقد حق عليها ان تموت . وفي ريفنا المصري لا تزال تسود قوانين القبيلة والاقطاع . وكانت امهـا قد علمت بالسر ، قاله ميهوب اولاً لحكروش عبيط القرية ، وحكروش قاله لمرزوق حلاقها ، وهذا بدوره نقله لزوجه . وهكذا سرى الخبر حتى وصل منزل عبد الصمد .

وقد انتشلت جثة زين من النيل في احدى الليالي المظلمة حيث لم يكن ثمة قمر ولا ريح تلفح العيدان الغضة . ولم يكن من كفن لها سوى شعر طويل منسدل فاحم . وليس احد يدري اذا كانت قد أغرقت أم أن حلمها المروع قد دفعها الى هذا المصير .

اما القمر فقد ظهر من جديد بعد هذا بأيام قلائل ، مكتملاً وصامتاً ومبتسماً .

القاهرة — يوسف الشاروني

الليل

للآنسة ثريا ملحس

طويتك كما تطوي بتلات الزهور
لونها في صدرها ،
طويتك خوفاً وأنت لا تدري ،
فسمعت أنفاسك تعجّ .
***
أنا أخاف عليك
من وهج الشمس ،
أحبك في الظلام
عندما يئن الليل ،
ويمشي الفقير مشرّداً في الطرقات ،
لا يجد مأوى ولا منأى ،
أحبك في عبق الزهور
وفواح الياسمين ،
اخاف عليك من كهم النهار ،
فأفرش أمامك الورود
وتفرش أمامي الاشواك .
***
ثم تغيب في ثنايا الليل
فأسمع الماضي يتقلّب ،
أنظر الى كتابي ،
أمزقه وأنثر أوراقه ...
فتذوب بين أناملي
***
لا أدري من أين أتيت ،
أمن بلاد عبقر ؟
ولا أدري الى أين ذهبت ،
أسراب في سراب !
***
اعطني يا إلهي قوى
فان مناجاتك أضوتني ...
سمع هزيع من الليل
فافترّ عن ألف فم ،
وطلعت الشمس
تصرع العشاق ،
وذوت الازهار
تندف عصارة السحر ..

منزلة الشعر بين الفنون

بقلم ابراهيم العريض

☆

٣ ـ العاطفة في الشعر

انها العاطفة هي العنصر الثاني الذي يتوقف عليه الشعر في تكوينه بعد الموسيقى . ولكنها لا تقل عنهـا اهمية لانها بمثابة الروح في الهيكل الشعري . فا الشعر في حقيقته الا لغة العواطف كما ان الموسيقى اللفظية - التي نوهنا بها - ليست سوى ثوب تلبسه العاطفة للظهور . وربما لا نكون مغالين اذا قلنا ان اقتران العاطفة على الوجه الاكمل بالموسيقى التي تلائمها (وهي العنصر الاول) من جهة . وبالخيال الذي يجاريها في خلق الجو نفسه (وهو العنصر الثالث) من جهة اخرى . . . هو الذي يكسب الشعر « لونه » ويجعل له هذا الطابع الخاص الذي ندرك اثره في قلائد الخالدين على الاجمال .

اما العواطف الانسانية - من حيث هي - فكلنا على بيّنة من امرها . ولعل اكثرنا قد جربها - احساساً او تقليداً - في المسرح على الاقل . ان لم تقدّر له مباشرتها في الحياة . أليست هي التي تصرّفنا في صلاتنا الفردية . وتحتم علينا في المجتمع الانساني الذي نضطلع بعضويته - راضين او كارهين - هذا الموقف المشهود من اعضائه . بحيث يتهيأ لكل فرد - على حدته - رد فعل بعينه ازاء ما يصدمه من الحوادث في ظروفه الخاصة . فنرى في مجموع وقائعها صورة منعكسة للنفس . هي التي نطلق عليها اسم «الشخصية»

وما هي - في واقع الامر - الا مجموعة اعتبارات عما نجهل من امر الشخص مستشفة من تصرفاته الخاصة . والتي تقبض زمامها العاطفة وحدها .

وما لنا وللدخول في غوامض علم النفس وانما نحن امام «ألفاظ» ومعانيها فحسب . غير ان الذي لا مندوحة من بيانه هنا هو ان هذه العواطف التي تلوّن نظرتنا الى الحياة لا نستطيع ان نلمس اثرها في الشعر الا من خلال الالفاظ لا غير بفضل رموزهـا التي عدّدناها . وان تكوين صورتها في الذهن يتوقف على ما اوتي الشاعر من قدرة والهام على الاستعانة بهذه الرموز اولاً وعلى اتفاقه - في الرأي - مع الآخرين في ادراك هذا الرموز على وجهها المطلوب . ومرجع الاول الى فطرة الشاعر وحدها والثـاني الى الثقافة المشتركة بين الطرفين .

وكذلك لا مندوحة من القول ان الموسيقى اللفظية - بطبيعة الحال - لا تقلّ شأناً في مدلولها عن المدلول اللغوي للكلمات - اذا تم التكافؤ بينهما - على اثارة العاطفة التي يحـاول الشاعر بثها في سامعيه او ينظم تحت تأثيرها اغانيه .

والواقع ان الشاعر - وعياً او بدون وعي - يستعين بهذه الرموز التي تتمتع بها الالفاظ على اعادة خلق الظروف التي اثارت عاطفته . وهو لا يكتفي بهذا بل يمهرها بطابع الخلود الى ابد الآبدين . بحيث لا تنشد قطّعه مرة الا وعادت تلك الظروف بعينها

ماثلة للعيان وعادت معها — من جديد — تجاربها الشعورية . وهذا ما يشترك الشعر فيه مع سائر الفنون بصورة — لم يأن بعد موعد تحليلها — هي التي تبوئه منزلته بين الفنون .

تأمل مثلاً قول الشاعر القديم :

اقول لصاحبي والعيس تهوي ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد ... ورياً روضه بعد القطار
واهلك اذ يحل الحي نجداً ... وانت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار

وسائل الآن نفسك ألم يُعدِك الشاعر بشعوره .

اما العواطف التي نلمس اثرها في الشعر فهي التي يخضع لها الشاعر في الحياة . ولذلك اصبح في امكان النقد — اذا دقق — ان يدرس شخصية الشاعر من شعره . كما يتيسر له ذلك لو حاول درسها مباشرة من سيرته . على شرط ان يؤمن بأن جميع ما يحيط بظروف هذه الدراسة من احكام هنا تصح ايضاً هناك . وهذا ما فعله العقاد في دراسته القيمة عن ابن الرومي . . والعريان عندما وضع للرافعي ترجمته .

وسواء كانت هذه العواطف التي تعمل بجذورها في بناء الشخصية بعضها — كالضحك — بسيط ينبع في الحيوان مع نشأة الحياة نفسها . أو بعضها — كالسخرية — معقد يفيء به على الانسان ظل عشرته في المجتمع مع الانسان . فان توشج العواطف — على ضوء ما ذكرنا — تحت تأثير الظروف او ضغطها هي التي تجعل من الشاعر — في شعره — هذا المخلوق الذي نراه يتطاول عظمة كالمتنبي . او يسخر متألماً كابن الرومي . او يمرح متفكهاً كأبي نواس . او يذوب صبابة كالمجنون . بحيث تتعدد الشخصيات في الشعر تعددها في الحياة .

انظر الى الاختلاف الكبير في الموقف الذي تسجله كل من القطعتين التاليتين .

قال الرصافي :

لقيتها في الطريق عابرة ... يحصر من قدها تبخترها
أعجبها منظري ، وأعجبني ... بالحسن عند اللقاء منظرها
لفت جيدي أرى انتظرني ؟ ... والتفتت ترى أأنظرها ؟
فقلت والشوق في ملتهب ... ان عذرتني فسوف اعذرها

وقال صلاح اللبكي :

مررت دون الناس مجهولة ... فتانة ضاحكة لاهيه
من أنت؟ لا ادري، وما ضرني ... جهلي . . وجهلي اللذة الباقيه

اطيب ما في الشعر اغنية ... تبقى بلا وزن ولا قافيه
فان تكونيها تمنيت ان ... لا نتلاقى مرة ثانيه

فهاتان القطعتان انما تشفان عن شخصية صاحبيهما تماماً . اذ كان الاختلاف هنا انما هو في النظرة الى الحياة نفسها .

وهكذا فان لكل شاعر شخصيته التي يفرض بها نفسه على الفن . كما ان لكل انسان شخصيته التي يفرض بها نفسه على الحياة . الا ان قدرة الشاعر انما تظهر فيما يتخذ من وسائل فنية لترك هذه الشخصية ماثلة للعيان . ولعل النقد لا يهمه في الشعر — كما لا يهمه في اي فن آخر — قيمة هذه الشخصية بمقدار ما يهمه توفيق الشاعر فى تشخيصها وابرازها للعيان .

ومن هنا ينشأ الاختلاف في التعبير بين شاعرين يتناولان موضوعاً بعينه او يستجيبان لعاطفة واحدة . اذ كان قوام هذا الاختلاف هو في الوسائل التي تتكافأ مع شخصية كل منهما في التعبير عن نفسها حسب موقف كل شاعر من الحياة ونظرته اليها .

فقد سجل التاريخ المتنبي قوله مثلاً :

أبعين مفتقر اليك نظرتني ... فأهنتني ، وقذفتني من حالق
لست الملوم ، انا الملوم لأنني ... انزلت آمالي بغير الخالق

فانظر كيف تأثر حافظ ابراهيم في مثل موقفه فقال :

وخيب آمالي وقوفك دوننا ... وانك عند الظالمين مكين
يسرك اني نائم الجد عاثر ... ويرضيك اني للخطوب ألين
ليهنك ما بي من اسى وخصاصة ... وتقليبي الكفين حيث اكون

واود الا يفوت القارىء ما في القطعتين من دلالة نفسية علاوة على مدلولها التاريخي .

ثم تعال معي وانظر كيف تترك عاطفة مشبوبة اثرها في شاعرين معاصرين .

قال عمر ابو ريشة في ذكرى ميت :

ليلى ! انا وحدي اقلب في الربى ... طرفاً يروح به الجمال ويرجع
تهتاجني ذكراك حتى انثني ... متطلعاً . . . لهفي لمن اتطلع
بيني وبينك هجعة يجدا بها الـ ... قلب الجموح وتستقر الاضلع
اقتات بعدك بالخيال ، وقلما ... دفق الظلام وما احتوانا مضجع
ليلى ! اكاد اهين فيك فتوتي ... فأصيح في عيني اين الادمع !!

وقال ميشال بشير في الخيال الزائر نفسه :

ارى الليل — والشهب فيه — ضريحاً ... عليه اكاليل من ادمع
تمر الطيوف ، فمن مطرقات ... — بجانب نعشي — ومن خشع
وللصمت في مأتم الحب همس ... عميق يتغلغل في مسمعي
فأمسح لون الكرى عن جفون ... يقول لها الوجد : لا تهجعي
فألقى خيالك شبه قتيل ... بجنب فراشي . . . يبكي معي !!

واذا كان لا بدّ لنا من الملاحظة فهي ان الموسيقى اللفظية في القطعة الثانية لا تنسجم والعاطفة التي تتقد فيهـا او تتساوق معها على الوجه الرائع المشهود في القطعة الاولى . فمـا تلك الاجمرة ملتهبة .

ويتبين مما سبق ان هذه الوسائـل التي تتكافأ مع شخصية الشاعر للتعبير عن نفسها . . . ما هي الا ما تثيره الالفاظ من صور ذهنية ترمز بتداعيها – مجتمعة – أولاً الى العاطفة المشبوبة التي خالجت الشاعر ، على تنوّعها في الافراد . . . وحدها . او مقرونة – ثانياً – بالموسيقى اللفظية فيما لا يكاد يأتي عليه الوصف من اشكال هذا الاقتران . . . مقتصرة عليه . او مشفوعة – ثالثاً – بالخيال الذي يذهب متوغلاً في خلق جوّها . على تعدد صوره . بحيث تزيد – على ضوء هذا كله – ما يقوم وراءها من شخصية الشاعر قوة ووضوحاً .

ولا داعي لأن نذهب في عرض نماذج هنا لكل عاطفة تساور القلب الانساني ، فهي لا يكاد يأتي عليها حصر ، من الحزن العميق الذي تراه ممثلاً – رغم بساطته – في قول متمم بن نويرة :

لقد لامني عند القبور على البكا ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال : اتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له : ان الشجا يبعث الشجا ... فدعني ، فهذا كله قبر « مالك »

الى هذا الحب البالغ حدّه من التعقيد في قول الياس ابي شبكة :

اودّك في خاطر القبر سرّاً ... يردد ذكراك في مسمعي
فيهرب منك العذول ، وآتي ... ابلّل خديك من ادمعي
واتزع من جانبيك الفؤاد ... واخبئه في دجى اضلعي

فما نُظم من شعر في العهد الذي ادركه فجر الاسلام حافل بالنماذج العاطفية الرائعة . كما ان عصرنا هذا لا يتخلف كثيراً في هذا المضمار . غير ان المقام يقتضي ان نشرح – ولو بايجاز – كيف تتبلور العاطفة في الشعر بالانصهار مع العناصر الاخرى .

فأما حيث تحاول العاطفة أن تستقلَ بمفردها في التأثير – وهذا لا يعني خلوّها من الموسيقى فليس من الممكن اظهار عمق الشعور دون الارتكاز عليها . اذ ان الموسيقى اللفظية لا بد من مشايعتها للعاطفة حتى تتألق متوهجة في افقها الشعري . وانما نعني هنا حيث لا يكون لعنصر الموسيقى ذلك الرجحـان ففي مثل قول محمود غنيم :

وأطيب ساع الحياة لديّا ... عشيّة اخلو الى ولديّا
متى ألج الباب يهتف باسمي ... فطيم ويحبو الرضيع اليا
فأجلس هـذا الى جانبي ... واجلس ذاك على ركبتيا
واغزو الشتاء بموقد فحم ... وابسط من فوقه راحتيا
هنالك انسى متاعب يومي ... حتى كأني لم ألق شيا
وكل شراب اراه لذيذاً ... وكل طعـام اراه شهيا
وما حاجتي لغذاء ومـاء ... بحسبي طفلاي زاداً وريـا
وأية نجوى كنجواي طفلي ... يقول : ابي . فأقول : بنيا !

واما حيث تجيء العاطفة معززة بالخيال الذي يذهب بصوره في تأييدها دون ان يكون لعنصر الخيال الغلبة لفرض آية سلطانه عليها . ففي مثل قول احمد الصافي :

دمّر . . . ماؤها على الدير يهوي ... كمرايا ، تكسرت من لجين
سكر الصحب بالمدام ، وأني ... نلت بالماء والهوى سكرتين
فحفيف الغصون شاب خرير الـ ... ـماء لحنـا ، فألّفا جوقتين
جلست حول نهر دمّر غيد ... صرن والدوح حوله جنتين
بردى . . ! ما رأيت قبلك نهراً ... ينبت الغانيـات في الشاطئين
ليس عينـاي لي بكافيتـين ... فوق عينيّ ابتغي الف عـين

ونرجو ان يلاحَظ في القطعتين كيف يظهر الشاعر سروره بنعمة الحياة .

وقد يصادف احياناً ان تقصّر الموسيقى اللفظية في مجـال الايحاء . . . ان لم تنعدم بالمرة . او تجيء بمـا يغاير الجو العاطفي الذي تتطلبه القطعة . فلا يتأتى للشعر ذلك التأثير . كما نجده في قول صاحب « البدائع » :

يا ليت اني كنت صنـ ... ـوك ، او قريبك ، او اخاك
فأدري سر بوك . . . هل يصو ... نك – مثل قلبي – لو حواك

ومثلها قول اسمعيل صبري :

يا موت ! ها انا ذا ، فخذ ... ما ابقت الأيـام مني
بيني وبينـك خطـوة ... ان تخطهـا فرّجت عني

ويلاحظ هنا كيف ان العاطفة يضايقها نوع من التحجر في اسلوب التعبير مردّه عدم تكافؤ القطعتين في هذه الموسيقى اللفظية كما يلاحظ ان الموسيقى بالرغم من اشتراكهما في الوزن . هي في الثانية اكثر قبولاً .

٤ – الصور الخيالية

وصله

العاطفة تنتقل الى الخيال .

فالخيال هو العنصر الثالث الذي يعتمد عليه الشعر في تكوينه . وهذا طبعاً لا يعني انه يستطيع ان يثبت وجوده مستقلاً عن كل من العنصرين السالفين – العاطفة او الموسيقى . فانما هي جميعاً عناصر اساسية للشعر اذا كنا تناولناها على انفراد فذلك – كما قلنا – بقصد الايضاح فقط . والا فهي تكوّن

بمجموعها — حيث وجدت — وحدة كاملة من نواحيها كافة .

وللخيال في الشعر عمل يوازي عمــل الموسيقى في خلق الجو العاطفي الذي يقتضيه المقام وتاوينه بتمــاويله . اذ ان تداعي الصور الذهنية التي يحركها الخيال — أنى كانت وجهتها — له دلالته على تعيين نوع ما يكمن وراءهــا من شعور . وبعبارة اخرى كما ان الموسيقى ليست سوى ثوب تلبسه العاطفة للظهور . فكذلك ليس الخيال سوى مرآة ترى فيها العاطفة وجهها مجاواً . ولذلك تختلف هذه الجلوة — بشاشة وعبوساً — باختلاف ما يحف بالمرآة من اضواء نفسية وظلال .

ومن خير الشواهد عــلى هذا الدور المزدوج الذي يقوم به الخيال في الشعر قول الحارثي :

سلبت عظامي مخها فتركتها ... مجردة تضحي اليك وتخصر
واخليتها من مخها فتركتهــا ... انابيب في اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت باسم الفراق تقعقعت ... مفاصلها من هول مــا تتنظر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ... بي الضر الا انـني اتستر
فما حياتي ان لم تكن لك رحمة ... علي ، ولا لي عنك صبر فأصبر
فوالله ما قصرت فيما اظنه ... رضاك ، ولكني محب مكفر

فان هذه الصور الخيالية التي تخرج في وصفها عن حدود الواقع لا تزيد القطعة هنا الا حرارة والتهاباً . فتبلغ بذلك غرضها في تصوير حال المحب البائس تصويراً واقعياً مؤثراً . يندر ان تقع على مثله الا في الشعر . وهذا من عجائب المفارقات التي يدين فيها الشعر للخيال .

اما ملكة التخيل — من حيث هي — فموهبة فطرية ظفر بها الانسان بعد تقلب طويل في احضان العصور . ومنشأ هذه الملكة — على هذا — موغل في القدم . وان جاء متأخراً — في تاريخ الانسان — عن العاطفة . اذ كانت السبب المباشر اليه . واغلب الظن ان الخيال نشأ في الانسان من التلفت الى الماضي في صورة ذكريات يثيرها الحنين . ثم كانت النقلة منهــا مباشرة الى صورة مشابهة اخذ يتطلع اليها الانسان في المستقبل بنفس الحنين .

ولعل العرب لم يفهموا الخيال الا بهــذا المعنى . حتى اشتهر عندهم البحتري « بخياله » . وهم انما يعنون بذلك هــذا الطيف الذي كان يعاوده في المنام . تأمل مثلًا قوله :

اذا ما الكرى اهدى الي خياله ... شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدي انتباهة ... عددت حبيباً راح مني او غدا
فلم ار مثلينا ولا مثل شأننــا ... نعذب ايقاظــاً وننعم هجدا

كما ان قول الشاعر القديم :

ولما نزلنــا منزلاً طله الندى ... انيقاً ، وبستاناً من النور حاليا
اجد لنا حسن المكان وطيبه ... منى ، فتمنينا ، فكنت الامانيا

يلقي ضوءاً على ما لا بد انه حصل في التاريخ المنسي من حياة الانسان قبل نشوء الخيال . بحيث انفتح له باب الامل . هذا الباب الواسع الذي لا زال مفتوحاً على مصراعيه .

فالخيال اذن هو الاصل في كل ما قام به الانسان من المحاولات الاولى لتخليد عاطفته التي أحس يوماً ما بتأججها — على بســاطة هذه وتلك — في صور خاطفة واشكال حائرة نعتبرها اليوم البذور الاولى لكل ما يتسم بسمة الفن . كما ان للخيال الفضل الاكبر — او لعله كان وحده له هذا الفضل — فيما وصلت اليه الحضارة الانسانية من شموخ يتطاول على كر العصور .

وهنا ايضاً يجب الا نترك للخيال العنان فيتوغل بنا في تاريخ ما قبل التاريخ بحيث تضل بنا المسالك وتتشعب السبل . فتحديد ذلك كله — على الوجه الاصح — هو من شأن الخبراء . وحدهم . بل علينا ان نحتفظ بوقفنا في البحث الذي لا يتعدى — بحــال من الاحوال — موضوع الالفاظ ومعانيها .

فهذه الالفاظ بفضل رموزها تؤلف من صور الاشيــاء او حركاتها عالماً يقع في الذهن قريباً من الواقع او بعيداً عنه حسب مقتضى العاطفة الثائرة التي تعمل في الذهن على تداعيها . بحيث تتداعى هذه الصور في اسلوبها الشعري على غرار الحقيقة حينــاً ومغايرة لها في كثير من الاحيان دون ان ينكر من امرها النقد شططاً . اذ هي في كلتا الحالتين ترمز — كما رأينا — الى الحــالة النفسية التي تعمل — في خفاء — على تداعيها كذلك . بفضل عصا الخيال السحرية . تأمل مثلًا قول مهجة الغرناطية [1] .

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه ، فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا — على ظمأ — زلالاً ... الذ من المدامــة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا ... فيحجبها ، ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

الا ترى معي كيف ان احساسها بجمال هذا الوادي حقاً — في الاندلس — القى أثره على ما تشع به الفاظهــا من شعور مشرق يكاد يعدي حتى العصا بمعانيه .

ومن هنا ينشأ الاختلاف — بين شاعر وشاعر — في الصور الشعرية التي تحفل بها كتب الادب . فالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز مردها كلهــا في الواقع الى العاطفة الوقتية التي لا يبث خيالها فاظهرتها — بتداعيها الحر — الى الوجود . لقد طــاب مثلًا

(١) هي الشاعرة الاندلسية حمدونة او حمدة بنت زياد من وادي آش فاقتضى التنبيه (الاديب) .

لمحمود ابو الوفا ان ينشد في القبلة .

لم انس اول قبلة اخذت بها ... شفتاي عهد الحب من شفتيك
ما زلت بين فمي احس لها شذى ... اترى لها اثر يحس لديك

فهل يبلغ الامر بالقبلة — في واقع الامر — ان تحتفظ بكل هذه الحلاوة . . . لولا الهوى والشبـاب . وانما هو الاحساس الناشىء عن هذين هو الذي يهول — كما قلنا — من صفتها ويفعل في قلب العاشق افاعيله . بحيث نستشف من وراء البيتين صورة شاب وشابة في حشمتهما اول ما تغريهما مائدة الحب . بكل وضوح .

واود ان استجلي هنا للطبيعة الثائرة هذا المنظر الرائع الذي اتخذه الخيال اطاراً حول عاطفة مشبوبة تختلف كل الاختلاف عند شاعرين معاصرين . قال صلاح اللبكي .

اسمعي الاعصار يدوي في الجبال
اسمعي للغاب انّات طوال
اسمعي كم طائر تحت الظلام
تائه بلله القطر السجام
يتوخى مأمناً حتى الصباح
من ترى ينجيه من كف الرياح
افتحي الكوة في وجه السماء
وانظريها لبست ثوب الشقاء
وتوارت رهبة خلف الغيوم
بعد ان اطفأت الريح النجوم
اغلقي الكوة في وجه الرياح
للصباح
خبئي راسك في صدري ونامي
يا غرامي

وقال بيترو طرابلسي

رغم ان الرياح تعصف غضبي ... والظلام الكثيف يغشي طريقي
وهزيم الرعود يكتب في فحـ ... ـمة ليلي وعيده بالبروق
لا ابالي . . فلست اطوي شراعي ... مسلماً مركبي الى الامواج
فهو ليل سينجلي بصباح ... اذ يسود السكون بعد الهياج
واذا ما الرياح شقت شراعي ... واستدارت بمركبي . . فتداعي
قبل ان يرسل الصباح ضياءه ... فاعلمي انني قضيت شجاعاً

أرأيت كيف يدفع الخيال على سبر اغوار النفس الانسانية من وراء عاطفتها المشبوبة .

ويتبين من هذا ان عمل الخيال هو ان يستجيب للعاطفة في تلوين ما يكتنفه من مناظر الطبيعة بلونها الخاص . والتأليف بين ما يتراءى له من اشتات صورها — في آفاقها الواسعة — بالتشبيه او الاستعارة . حسب ما توحي بهما حالة الشاعر النفسية . وهي التي ما برحت تعمل في الباطن عملها على تداعيها — في الذهن — بتلك الصورة . بغية اتخاذ ما ينجم عنهما من تهاويل فنية . ذريعة — في الشعر لاعادة خلق تلك الحالة بالذات . ومهرها بطابع الخلود .

ولذلك فان الصور الخيالية تتوقف قيمتها في الشعر على ما يقوم وراءها من الدوافع النفسية التي كانت السبب الاول في اخراجها الى حيز الوجود . هذه الدوافع التي تحمل كل تشبيه او استعارة رسالتها الخاصة . بفضل ملابسة العاطفة لها . ومن هنا يلجّ العثار باولئك الذين يحاولون المضي في محاكاة هذه الصور وتقليدها — او توليد المعاني بعضها من بعض كما يزعمون — لان هذه الصور التقليدية حكمها حكم الجسد المشرّح على مائدة التشريح . وهو الذى يعدم — قبل كل شيء — الحياة .

ومن هنا ايضاً تأتي المبالغات الشعرية كمادة وقود في الادب . فتعمي العيون بدخانها او تقذي الجفون برمادها . ما لم تجعل منها العاطفة شعلة ملتهبة . وعلى ضوء هذه الحقيقة قال الرافعي « . وأنت فلو اخذت معنى من هذه المعاني الآتية من الالهام . واجريته في كتابة كاتب او شعر شاعر من الذين ليس لهم الا اذهانهم يكدونها . وكتبهم يجعلونها اذهانا احياناً . . . لرأيت الفرق بين شيء وشيء في احسن ما انت واجده لهم . على نحو ما ترى بين زهرة حريرية جاءت من عمل انسان بالابرة والخيط . وزهرة اخرى قد انبثقت عطرة ناضرة في غصنها الاخضر من عمل الحياة بالسماء والارض . » .

ويحسن بنا هنا ان نذكر — في مجال تحليل ما بين العاطفة والخيال من صلة . ولعلنا لا نكون خرجنا عن حدود الموضوع — انه لولا الخيال لتعذر على الانسان ان يقف موقفاً موضوعياً من الحياة . اذ ان العاطفة — وحدها — لا تدفع على غير الموقف الذاتي . ومعنى هذا ان الانسان لا يستطيع التجرد من نفسه ليستشرف عليها من الخارج الا اذا سلّم زمام عاطفته بيد الخيال كما يحسن الآن ننسى انه بمدد الخيال — وحده — استطاع الانسان ان يدخل عامل الزمن في نظرته الى الاشياء وتقديره قيمها . والا فان العاطفة لا تعيش الا في حاضرها . وتأبى ان يمتد بها الزمن من طرفيه . والحقيقتان هاتان تستتبعان — حتماً — ثالثة يحس بنا ايرادها كذلك . وهي ان الخيال — وحده — يستقل في الشعر بتصوير الحركة ما دامت الحركة تفترض مقدماً وجود الزمن . كما تستأثر العاطفة — في نطاقها المحدود — بتصوير الحال .

ولعل هذا كله يتضح بنظرة نلقيها على القطع التالية التي تشترك كلها في وصف وصال حبيبين .

قال ابن الرومي .

اعانقها . والنفس بعد مشوقة   اليها . وهل بعد العناق تدان
والثم فاها كي تزول حرارتي   فيشتد مـا القى من الهيمان
وماكان مقدار الذي بي من الجوى   ليشفيه مـا قد ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليـله   سوى ان يرى الروحين تمتزجان

وهو – كما ترى – يقتصر في جمـال الوصف على احساسه الداخلي وما تحمله النفس من انطباعات لا يكاد يتجاوز ذلك . فهذه نظرة ذاتية بحتة .

وقال علي بن الجهم .

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجمة   وادنى فؤاداً من فؤاد معذب
فبتنا جميعاً . . لو تراق زجاجة   من الراح فيما بيننا لم تسرّب

فهو – اذن – يحاول في نشوته التجرد من نفسه ليطل عليها بأعين الناس . كأنما هو يصف غير نفسه . فنظرته تقع قريباً من الموضوعية . دون ان يستأسر لها الشاعر بروحه .

وقال ميشال بشير .

اجب يا سراج ! اذا ما سئلت   فما كان غيرك من شـاهد
سهرت على اثنين قبل العنـاق   وبعد العنـاق على واحد

فتراه – دونها – قد تجرَّد بالفعل . حتى لا يكاد يحس ان الموصوف هي نفسه . فهنا لا نجد غير النظرة الموضوعية الخالصة .

ومعنى هذا – بعبارة ثانية – ان ابن الرومي قصر وصفه على تأجج العاطفة نفسها في زمنها المحدّد . بينما انتزع ابن الجهم نفسه من ذلك الزمن . ليرينا – متأثراً – كيف تم الوصال . اما ميشال فقد أشهدنا – مع السراج – على صورة هذا الوصال فقط . وهكذا تتعدد الصور الخيالية – في الشعر – بتعدّد الشعراء . . . ما خلا التقليد .

وسيبقى الحال كذلك ما دامت النفس البشرية كما يقول عبد اللطيف شرارة « لا تتغير ابداً في جوهرها . فهي تتلاعب بالحياة كما يتلاعب الماس بالنور . والحياة تتلاعب بها كما يتلاعب النور بالماس . ففي كل لحظة شعاع جديد . . ولون جديد . . وشكل جديد . . . »

بقي علينا ان نبيّن كيف يتم الاقتران بين الخيال – في الشعر – وبين العنصرين الآخرين من عاطفة وموسيقى . في حالتيه حيث يكون له الغلبة والرجحان . فأما حيث تقترن به العاطفة والموسيقى معاً ولكن يحاول ان يستأثر دونها بالتأثير . ففي مثـل قول زهرة الحر :

سلي الكمنجة عما بي من الكدر   لتسمعي انـتي في أنة الوتر
واستنشدي الزهر اشعاري فما خفقت   للعين الا وفي اجفانها عبري
واستنشقي الريح ان هبت مهينمة   على الرياض ففي طياتها خبري
يا ليل ما شئت فاحلم بي مدلهة   حيرى تراوح بين القلب والسحر
من اين لي ان ترى عيناي فيك كرى   وما تعودت فيك النوم من صغري
أبديت لي قمراً قد كنت آلفه   لو انني بت اجلوه على قمري

فيلاحظ كيف تبلغ القطعة غرضها في النفس بصورها الخيالية الهادئة التي تتساوق مع عاطفتها الناعمة على خلق التأثير .

واما حيث يقترن بالموسيقى على حدة ولكن يحاول ان يستقل دونها بالتأثير ايضاً . ففي مثل قول رياض معلوف :

حضنتهـا قيثـارة   كأن فيها أضلعك
اودعت فيها كل ما   في الروح ربي اودعك
داعبتهـا مستلهماً   فأسمعتنـا بدعك
وارتعشت اوتارها   مقبلات أصبعـك
الحانهـا درب المنى   قلبي مشى فيه معك
مـن وتر لوتر   ضيّعني وضيّعك

ويلاحظ هنا كيف ان الموسيقى الناعمة التي تزخر بها القطعة تتضافر مع الخيال وحده على ايجاد هذا التأثير .

وهناك للخيال حالة ثالثة . هي تلك التي لا تسعفه فيها العاطفة بنفس الحياة . . . ولا تؤيده بموسيقاها ، وتنجم هذه الحالة حيث يحاول الخيال ان يقوم وحده بمعزل عن الحياة الواقعية . فلا غرو اذا جاء – والحالة هذه – مضطرباً بصوره هشاً . لا حرارة فيه ولا حياة . ومن خير الشواهد عليه ذلك البيت المشهور لأبي الفرج الدمشقي في قوله :

قالت « متى البين ؟ يا هذا ! . . » فقلت لها :
« اما غدا – زعموا – او ، لا ، فبعد غد . . »
فأمطرت لؤلؤاً من نرجس ، وسقت   ورداً ، وعضت على العناب بالبرد

والصورة هنا – كما ترى – لا تحتاج الى تعليق . ومثله قول محمود حسن اسماعيل في الدمع ايضاً :

مزهر للعيون ، اوتاره الهد   ب . . وانغامه رنين البكاء
صامت في الظلام . . الهم قلبي   من معانيه عبقري الغنـاء

وان كان ثمة اختلاف فناشىء عن اختلاق العصرين .

ومن هنا يستدرج الخيال صاعداً الى درجات من السخف – بعضها فوق بعض – فلا يكاد يقف عند حد . كما نرى اثر ذلك في شطحات الشعراء .

البحرين   ابراهيم العريض

حينما تقبلين آية الافراح كالأمل الحلو الى مأمن احلامي .

حينما تقبلين كعرائس الشاطىء السعيد .

حينما تنشرين على السهل غالي عطاياك .

فلا تمري دون ان تبتسمي لأمهات حانيات على المهود .

لا تمري ايتها البسمة العابرة .

دون ان ترسمي على كل شفة قبلة .

وعلى كل جبين آية جمال .

***

آه لك ايتها المهود المتأرجحة على أنين موج زفوف .

تحملين اشراق سعادة خضراء خضراء كسهول الفرات .

تحملين في دفء الاجنحة الخافقة آهات جديدة للحياة .

آه لك ايتها المهود .

تضمين الى صدرك اشواق فلاح عجوز ... او ملاح بعيد .

آباء ينتظرون الابناء ... أوبة حلوة على اجنحة الخيال .

***

العيون الرمادية ، المظللة باحلام زرقاء كليالي الصيف .

والعيون الملونة بالاشواق .

ترجف على همل الدمع الصامت ..

تبحث في بعيد الآفاق عن عزاء مفقود .

والشفاه المموهة بغرام الشفق الجريح المموجة بدماء شمس غروب .

تسبح عليها الانغام .

وتنطفىء إثر تقتيرة حزينة صموت ! .

***

ايتها الشطآن الحالية الا من تناوح الصفصاف وبكاء الحمائم .

المتوحدة بين اماسي الفرات واصباحه .

تستقبلين نجوى النواعير (عتابا) الفلاحين .

وفي ندى الاصباح تغتسلين بالرشاش ينثره الفرات على اقدامك .

هيه ايتها الشطآنة الحالمة ، لشد ما تهوي النفس ان تكون ذرة يغمرها موجك الضاحك ، او فن صفصافة يلثم صفحة الوادي الحبيب .

***

فاتنة الوادي

ما النظرة الخافقة في مسرى الانوار .

المنحدرة من ذروة الكثيب اليك ،

الا تسبيحة صغيرة ، تنعتق عن هذا الفؤاد المشوق .

تحمل صبوات العشاق والشعراء ، ومحبة القلوب الفياضة بالجمال .

وفي هدأة السبل الموحشة ... عند انقطاع الارجل العابرة .

وقفول جوع تعبة من الفلاحين .

عندما تسكن الهمسة فلا تصبح في اذن الكون الا نسياناً وسكراً .

في هذه الساعة من عمر القلب .

سيكون هيامي فيك شعراً تتلوه الوديان والكثبان .

***

ايه يا فاتنة الوادي المعمور ...

اطلي من خلال اغشية الضباب الفضي المسدول على جبينك الزاهر ،

وقلي مفاتن هذه الدروب الزاهية المنسحبة عن قمم التلال المشارفة .

ثم متعي الطرف السكران بمشاهد اليوم الراحل .

ها هي جموع الصبايا على امتداد السبيل آيبة الى الدفء والسلام .

دعي الطرف يجول بعيداً بعيداً في الآفاق ...

هذه صبية تتوج رأسها سلة تضم متاعب اليوم المضني الذي قضته في الدأب والعمل .

انظري الى وجهها الذي لوحته شمس نيسان .

وجيدها المثقل بالقلائد الرخيصة كسنبلة الحقل ، تعبث بها نسائم فجر وليد .

***

يا لجمال اهدابها السود .. تطبقها اثر نظرات كل مستطلع غريب .

لعل احلاماً زاهية تطوف في رأسها الصغير اذ ذاك .

ولعلها كانت تصغي لنقرات قرطها يوسوس في ظلام شعرها الحالك .

ولعلها كانت تستمع في تلك الوحدة الشاملة الى نجوى بعيدة تندي بالامل الحلو شفاهاً بلون العناب .

يا لجمال تلكم القطرات الزرق طافية على اديم وجهها المسفوع .

كأنها محبة أم رسمها الشوق على خد له حمرة الخوخ .

او صدعات من قلب الليل الأزرق .

نثرتها سماء زاخرة بالنجوم .

عانات – شاطىء الفرات — ناظم الراوي

حنين

الى البعيدة

☆

تراني أعودُ ؟
على رعشة من جناح شرودْ
مسح في ظلك الحلو طيب الوعود
وأبكي ويبكي الوساد معي
وأزجر في حسرة أدمعي
وأنسى الوجود
وسمح الوعود
وانسج من خفقة الاضلع
سؤالاً يردد في مسمعي
تراني أعود ؟

***

وإما اشرأبَّ البنان النحيل
يغازل فجرا
ويسفح عطرا
ويومي الى نجمة ساريه
فتهوي على ضفة الساقيه
لتنهل شعرا
وتقطف زهرا
وتسرق في غفوة المستحيل
من الوجد رعشته العاتيه
ومن ألق النور تنهب سحرا
وتهفو الى افقها لا هيه
وتخطو الحدود
فأسأل في لهفة طاغيه
تراها تعود ؟

***

وتبكين إما تولى شراعٌ وهلَّ شراع
وفي سرحة الخاطره
تقولين ضاع
وفي النظرة الحائره
تنادين اين الشعاع ؟
وشاع
على الشاطىء الحالم
بان الهوى عاد شوقاً وهمّت قلاع
ولكن .. أظل انا فكرة عابره
وأسطورة غابره
وابقى على خضرة العين منك رؤى عاطره
كما كنت قبل الوداع
واسمو على العالم
فيحلو لدي الخلود
وفي فرحة الواهم
اقول : تراني أعود

سويسرا – شامونيكس

بديع حقي

اصداء الميلاد

من مذكرات جندي في ساحة القتال

في صبيحة العيد

☆



هذه الاصداء التي تتجاوب في هذا الفضـاء الواسع فتهتز لها ارجاء الفجر الحالم الذي تكتحل اجفانه بالآمال والاماني المعسولة العذبة ؟ .

اهي اجراس العيد ترن في فضاء بيت لحم معلنة قدوم الفادي وولد الرفق فتتردد اصداؤها في سائر انحاء المعمور ؟ .

وما هذا الفيض من النور الذي يغمر الكون الراقد في احضان الطبيعة متكئاً على صدر الليل الهادىء ؟ .

أهو النور الذي انبثق من تلك الزاوية الصغيرة من بلاد الشرق فغمر العالم الى اقصى ارجائه وانار سبل الهداية وبعث في النـاس المسرة والرجاء ؟ ام هي تلك الاشعة اللامعة التي استلت خيوطها من حلكة الليل الدامس لتمر من ستـائر نافذتي في صبيحة العيد عاكسة انوارها على الهدايا النفيسة المبعثرة في اركان الغرفة ؟ .

ما هذه الاناشيد العذبة التي تشق حجب الفضاء في هذه الساعة المبكرة من صباح العيد مجترئة على حرمة الصمت الخاشع المهيمن على قدسية الذكريات التاريخية القـابعة بجلال في صدر الاجيال ؟

أهي اصوات ملائكة البشارة تردد « المجد لله في العلى وعلى الارض السلام » ام هي اناشيد رعاة الجليل تشق طريقها الى السماء شاكرة مبتهلة .

وما هذا الاريج العاطر الذي يعبث بالاثير الملامس وجهي ويثير في داخلي هذه النشوة الاخاذة ؟ .

أهو الطهر ينعش انفـاس اليهودية فيغشى الاجواء الواسعة البعيدة ويملأ صدور المؤمنين في كل الاقطار ؟ .

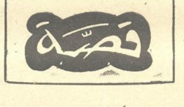
ام هي رائحة التبن والعشب اليابس التي فرشت بها ارض المذود المقدس قبل ولادة الطفل المنتظر ؟ .

ام اريج الازاهير التي تحيط بملايين المذاود المقامة في المنازل في هذا اليوم التاريخي بعد مئات السنين من مرور ولادة الفادي ؟

من هي هذه الغادة الهيفاء التي اضمهـا الى صدري المتأجج بنار الفتوة وأتحسس جسدها الناعم وامسح الطلاء الشهي من على شفتيها الدافئتين ؟ اهي اميرة احلامي التي طالمـا منيت نفسي بعطفها وعقدت على رضاها كل رجائي .

وما هذه اليد الناعمة التي تحاول ان تمس برفق منكبي فتهتز للمسها اوتار قلبي ؟ اهي تلك اليد المباركة التي هزت سريري طفلاً وضمتني الى صدرها رضيعاً وادبتني ولداً وحملت امامي مشعل الفضيلة يافعاً ؟ .

وما هذا الصوت الاجش الذي يحمل في نبراته الحنو وفي نغمته الاخـلاص ويحاول ان يوقظني من هذه الغفوة العذبة التي تداعبها ايادي الكرى وتعبث بها اصابع اليقظة ويكتنفها سحر النجوى ؟



بقلم الدكتور حسين سري الديه

أهو صوت ابي الذي رن في اذني مدللا وزاجراً ومرشداً وهادياً ؟ ام جاء يدعوني الى استماع صلاة الصبح بعد ان طال انتظاري وتأخر موعد يقظتي . . .

رباه لقد اجتمعت تفاعيل الحس والشم والصوت واللمس على ايقاظي رغماً عني فأين انا وما هذا النور الذي ارى انه لهيب مستعر ينبعث من افواه الحمم فيبدو الدخان المتلبد في سماء الساحة .

وما هذه باصداء الاجراس، انها دوي المدافع وقصف القنابل وقرقعة العجلات وازيز الطائرات ، .

وما هذه بترانيم ملائكة ولا تراتيل رعاة بل هي اناشيد الحرب تبعث الحماس في صدور الجنود المحاربة .

وما هذه الرشيقة المستلقية بجانبي، فتاة قلبي، ولكنها بندقيتي الباردة الملساء تبعث من فيها الدخان ويتلبد على شفتيها طلاء من البارود المحترق ويتقزز على جوانبها البارود المحترق .

وما هذا الذي يملأ انفي برائحة الطهر والعفاف والازاهير لكنه رائحة الجثث المحترقة المبعثرة حولي .

وما هذه اليد التي تمتد لتوقظني؟ يد امي، بل هي يد رفيقي في القتال تهزني للنهوض واستئناف النضال .

وما هذا الذي يرن في اذني صوت ابي؟ ولكنها اوامر القائد تدعوني لحمل السلاح . يا لهول الحقيقة فما كل هذه الا اصداء احلام لحظة قصيرة سرقها النوم من اجفاني اثناء المعركة التي بدأت في صبيحة العيد الباكرة وفي هذه الغفوة الخاطفة التي لم تستغرق بضع دقائق ، سطر فيها تلافيف الدماغ من الحوادث الجسام ما يستغرق تطبيقه بضع ساعات .

وها هي المعركة تحتدم بشدة وسرعة لا توصف واراني مدفوعاً الى الامام فوق الجثث التي تكسو الاديم والدماء تجري بين قدمي انهاراً وازيز الرصاص وانفجار القنابل يكاد يصم اذني ، وأرى الصفوف الامامية تسرع في الانهيار فمن لا يحصده رصاص البنادق لا يسلم من قصف المدافع وفتك المتفجرات، وها انا قد اصبحت في الصف الامامي لا يفصلني عن العدو الا مسافة قصيرة وها اني ارى احد جنوده يصوب بندقيته نحوي كما انا فاعل ايضاً . . فيا لهول الدوي اراني قد صرعت وارى الدم يتدفق من صدري واحس به يجري حاراً على جسدي ويبلل الارض التي ارتمي عليها وما هذه الغشاوة التي تنتشر امام عيني اني اعود الى الاغفاءة ثانية فاين انا ؟ . . .

اين انا الآن وماذا ارى؟ من تكون هذه الفتاة الجذابة التي ترتدي البياض مزيناً بشارة الصليب ؟ هل هي ملاك رحمة ارسلتها السماء للاعتناء بي وتخفيف آلامي ؟

ومن هو هذا الفتى الجبار المستلقي على السرير الى جانبي ؟ وما هذا الانبوب المتصل من ذراعه الى ذراعي ؟

رباه اليس هو ذلك الفتى الذي صرعني برصاصته في ساحة القتال منذ لحظة ، او ليس هذا دمه يسيل في الانبوب الى مجرى دمي ليعوض عن الدماء التي فقدتها من جراء تلك الرصاصة المميتة ويعيد الي الحياة المهددة . اما كان هذا الدم يندفع من صمامات قلبه منذ لحظة ؟

رباه هل تصدقني عيناي او ليس هذا مستشفى العدو ذلك الذي نحارب ونستميت في سبيل افنائه .

وماذا أرى في القاعة الكبرى المجاورة ، اما هذا مذبح يقوم بجوار مغارة الميلاد ؟ او ليس كاهناً هذا الذي يرفع صوته مترنماً « المجد لله في العلى » ضارعاً الى الله طالباً منه المعونة على افناء العدو الذي يحاربه ابناء قومه ؟ ومن هو هذا العدو اليس هو من عيال الله ايضاً الذي يستنجدون به ؟ ايستعان بالأب على افناء عياله ؟ ؟

فما هذه الاصداء المتنافرة والصور المتناقضة والاحداث المتعارضة والمعميات المتعاكسة ؟

قصف القنابل عوضاً عن اجراس العيد ، نار المعركة بدلاً من انوار الميلاد، اناشيد الحرب محل ترانيم الملائكة ، البندقية القاتلة مكان الغادة الفاتنة رائحة البارود مقابل اريج الازهار ، كف المحارب تقوم مقام يد الام ، صوت القائد موضع صوت الاب ، فتى لم يتمكن من الاجهاز علي في ساحة القتال ببندقيته فجاء يعيد الي الحياة ببذل دمه على سرير المستشفى؟ كاهن يترنم بالسلام في ساحة القتال ويضرع الى الله ان يقي عياله الاعزاء حباً بقداسته المزيفة .

وبعد هذا الا تكفي تفاعيل كل هذه الاصداء المتباينة لتشل حركة كل قوى الوعي في ادمغة البشر وتدعوني الى اغفاءة حالمة عذبة تسدل ستاراً كثيفاً على كل ما يحيط بي . . .

حسين سري الدجه

– تتمة المنشور في الصفحة ٢٦ –

باولو البرازيل ١٩٣٢)) فماذا نقول في هذا ؟!؟ ام ماذا نقول في سائر الدواوين الشعرية العربية التي اخذ شعراؤها يزينونها بالرسوم الرمزية ؟ ! ؟.

الحقيقة – وهذا اقوله مطمئناً اليه كل الاطمئنان – لقد ذهب بي الفكر الى هذه المقارنة ، لقد ذهب بي الفكر الى أن اقول ان الرمزية في فرنسا ، ان كانت موسيقى فاغنر Wagner قد ساعدت – فيما ساعد – على انتشارها (مارتينو Parnasse et symbolisme الطبعة السادسة باريس ١٩٤٢ ص ١٤١ – ١٤٢) ، فالرمزية العربية لم يكن لها ما يساعدها على الانتشار – علاوة على احتكاك الادباء والمفكرين العرب بالثقافات الغربية – مثل هذه الرسوم الرمزية التي كان ينثرها في الشرق العربي فنانون من عرب واجانب على السواء ! !.

ثم قبل ان اترك هذه الاشارة الى الرمزية المعاصرة في الرسم أليس من المفيد ان اشير هنا الى الاصالة الرمزية التي لفتت نظري في رسوم شاهدتها للفنان الحابي الاستاذ فاتح المدرس ، في معرض للرسم أقيم في شهر ايلول سنة ١٩٤٧ في دمشق ؟؟ يشهد الله اني سررت لرؤية هذه اللوحات الرمزية ، واني قلت لمن كان معي : «اليوم نستطيع ان نقول ان الرمزية في الرسم نفسه قد أينعت ! ! . »

على كل حال ، ان كنا ما نزال مع الحركة الفكرية والادبية على ابواب سنة ١٩٣٤ ، وان كانت الرمزية حتى هذه السنة حركات غير واعية لنفسها وعياً مذهبياً فمتى وجدت اذن الرمزية كمذهب ؟ ! .

الحقيقة هي انه كان علينا ، من اجل ان نظفر بهذه الرمزية ، ان ننتظر في لبنان شعراء الشباب ، وفي مصر الدكتور بشر فارس وبصورة خاصة في مسرحيته «مفرق الطريق» (طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٣٨) ! !

وأما ما هي خصائص الرمزية اللبنانية وما هي خصائص رمزية الدكتور بشر فارس ؟ ! فهذا ما لا يتسع المجال للاجابة عليه ، كما انه لم يتسع من قبل لتفصيل القول في رمزية جبران خليل جبران ! ! . وانما يكفيني بعد هذا ان اقول اننا نشعر بان الرمزية قد اصبحت مذهباً ، وان مشكلتها قد انبعثت ، وان بابها قد فتح وقصرها قد عُمّر ، تلمع فيه هذه الاسماء الوضاءة : ألبير اديب ، الياس خليل زخريا ، امين نخلة ، بديع حقي ، بشر فارس ، بنت الشاطىء ، توفيق الحكيم ، ثريا ملحس ، سعيد عقل ، سليم حيدر ، سمية حوي ، صلاح الاسير ، صلاح لبكي ، علي محمد شلق ، عمر ابو ريشة ، محمود حسن اسماعيل وصفي قرنفلي ، يوسف الشاروني وغيرهم . .

وانا اذ اقتصر هنا على الاشارة الى هؤلاء الادباء ، من غير التوسع في ذكر خصائص كل منهم ، لا يسعني بعد هذا الا ان اشير ايضاً الى ان باب هذه الرمزية ما كاد يفتح ، حتى فتح الى جانبه باب النقد . . . ولا نكران في ان المجلات العربية – كالمقتطف والهلال والرسالة والثقافة والاديب والمكشوف والصباح واصداء – قد تكلمت في مواضيع عدة في الرمزية ونقدها ، كما انها تعرضت لقصائد بعض الرمزيين المعاصرين ، او ترجمت قصائد بعض الرمزيين الفرنسيين مثل بودلير وفرلين ورامبو . . الا انه يبدو لي ان كثيرين ممن تعلقوا بأذيال هذه الرمزية ، يدعون خدمتها او الدفاع عنها ، قد اضروها اضعاف اضعاف ما نفعوها به ! ! فساءت بهذا سمعتها ، وحسبها الناس انها العيُّ بعينه وعدوا شاعرها نظاماً ومنشئها رصاف الفاظ ، وهكذا ، حتى صارت كلمة الرمزية مسبة ، وصار لقب رمزي عاراً او تهمة باطلة ، على الاديب ، – ان لحقت به يوماً – ان يتبرأ منها ! . (الاديب ايلول ١٩٤٦ ص ٧٧) .

ثم لنترك هذه الخطوط الرئيسية التي سارت عليها الحركة الرمزية المعاصرة ، ولننتقل الى ابراز الخطوط الرئيسية التي سارت عليها حركة نقد الرمزية . . . وهنا لا اريد ان اشير الى كل ما كتب في المجلات العربية عن الرمزية ، خيره وشره ، فهذا لا يفيد ، وانما يكفيني ان اقول اننا بعد سنة ١٩٣٨ عندنا كتابان قد تعرضا للرمزية ونقدها ، يلفتان النظر ، وهما كتاب الدكتور محفوظ « الشريف الرضي بودلير العرب ، واضع اسس الرمزية العالية في الشعر العربي » (طبعة بيروت ١٩٤٤) وكتاب الاستاذ احمد حسن الزيات « دفاع عن البلاغة » (مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٤٥)

اما كتاب « دفاع عن البلاغة » فلقد عقد مؤلفه في آخره فصلاً اجاب فيه على سؤال طرحه على نفسه هو : «هل من مذهب جديد ؟ ! » (ص ١٢٥) ، واضطر في هذه الاجابة الى ان يتعرض الى الرمزية المعاصرة (ص ١٥٧ – ١٦٢) . . ولقد قرأت الفصل بنهم ، والحقيقة انه فصل ماتع ، ومفيد ايضاً لمن يريد ان يأخذ فكرة عامة عن الرمزية كحلقة من حلقات المذاهب الغربية ، او لمن يريد ان يعرف رأي مؤلفه في بعض الرمزيين المعاصرين ، ولا شيء غير هذا ! ! . واما كتاب « الشريف الرضي بودلير العرب . . . » فقد لعب في حياتي الفكرية دوراً كبيراً لا استطيع قط نكرانه . وذلك

اني عندما قرأته – وهذا في اوائل سنة ١٩٤٥ – وقفت فيه لا اقول على اخطاء ومتناقضات يخيل الي معها ان مؤلفه لا يتمثل الرمزية تمثلاً صحيحاً ، وانما اقول اني وقفت فيه على نقصان زاوية الرمزية في النقد والبلاغة العربيين ! . حتى انني ما كدت اقف على هذا الا وشعرت كأن هاجساً يدعوني الى بناء زاويتها . واما انا فأتقبل بهدوء هذه الرسالة الفنية الاولى – ولاسيما وقد كنت فزت آنئذ ، بمباراة ابي العلاء المعري التي اقامتها مجلة الاديب الغراء (تشرين الاول ١٩٤٤) وكان موضوعي يبحث فعلاً رمزية المعري وتصوفه – ويلاقي هذا الهاجس من نفسي المتألمة ، الحزينة ، هوىً عنيفاً ، كما يلاقي من جلدي على البحث والتحقيق والابتكار مساعداً وعوناً ، وتنزل هذه الدراسات البلاغية والتاريخية ، ضرة محببة ، على قصائدي وكتاباتي الرمزية .

فما هي بلاغة الرمزية التي نقول بها ، او ماذا نقصد عندما نقول : بلاغة الرمزية؟

البحث ، دائرته ، مناهجه

اما كلمة الرمزية ومعانيها اللغوية والاصطلاحية والمذهبية فهذا ما نكرس له هذه الدراسات التاريخية والنقدية والبلاغية ، ويكفينا ان نعلم منها في هذا التمهيد ، اننا عندما نستعمل كلمة الرمزية نستعملها بمعنى مذهبي خاص ، قاصدين منه مذهباً في الفن ، وبصورة خاصة في الادب ، له مقوماته الفكرية والعاطفية ، وله خصائصه الاسلوبية . . ولكن الذي يهمنا الآن هو ان ندقق في ما نقصده من كلمة بلاغة عندما نقول بلاغة الرمزية . !!

فالبلاغة منذ ارسطاطاليس ، ومن قبله افلاطون . البلاغة فن (Art) أو ، كما وردت الينا في التركيب الاغريقي . الاصطلاحي الذي ترجمته في اللغة الفرنسية (Art de parler) البلاغة فن القول . !!

والفن اذا نظرنا اليه من وجهة مكانته بين العلوم الفلسفية ، لا من وجهة غايته التي هي التعبير عن الجمال ، الفن علم جزئي تطبيقي ، او بعبارة اخرى ، هو اصول وقواعد نظرية ، وقف عليها الفلاسفة النقاد عندما درسوا نماذج من العمل الفني نفسه – سواء كان هذا العمل الفني الرسم الذي يرسمه الرسام ، او النحت الذي ينحته النحات ، او الموسيقى التي يسكبها الموسيقي او الشعر الذي يرتله الشاعر ، او الخطب التي ينثرها الخطيب – والتي ، اي هذه الاصول والقواعد النظرية ، يستطيع الموهوبون من الناس اذا ما درسوها وتأثروا بها ، ان يفيدوا منها في فنهم العملي ، باجتنابهم مواضع القبح التي نبه اليها اولئك النقاد ، او دأبهم على توفير الجمال الفني الذي اوصوا به ومدحوه . !!

والادب ، بدوره ، فن من الفنون الجميلة ، له ناحيته العملية التي هي الشعر والنثر ، وله ناحيته النظرية التي هي – كما قسمها العرب – النحو والصرف والعروض والمعاني والبيان والبديع . ؟ ! والعلوم الثلاثة الاخيرة ، وهي فعلاً اقرب علوم هذا الادب النظرية الى النقد الفني ، رغم امتلائها عند العرب ايضاً بالقواعد المنطقية والنحوية واللغوية ، هذه العلوم الثلاثة اذن تعرف باسم علوم البلاغة : يدرس علم المعاني منها احوال اللفظ العربي التي بها يطابق هذا اللفظ مقتضى الحال ، ويدرس علم البيان كيف تورد المعنى الواحد بطرق مختلفة تتفاوت وضوحاً وخفاء ، ويدرس علم البديع وجوه التحسين في هذا الاداء الفني كله ! . نعم ! .

ولكن ان سألني القارىء ، ما موقف العصر الحديث من هذه العلوم البلاغية القديمة ، او ان سألني الى اي مدى هي تخدم النقد الادبي الحديث ، او هي تساير دفة الادب المعاصر !؟ فمن اجل هذا ، لا ارى بداً ، في هذا التمهيد ، من احالة القارىء الى درة العلامة الاستاذ امين الخولي التي اخرجها في هذا العام وهي كتابه الثمين « فن القول » (الطبعة الاولى القاهرة) ، ليرى القارىء فيه رأي العصر الحديث في البلاغة العربية القديمة وتقسيماتها ، وليرى فيه ايضاً ، فيما يرى ، كيف اننا في البلاغة اليوم نستطيع ان نستغني ، لا اقول عن هذه العلوم ، ولكن عن تقسيماتها وتبويباتها واننا نستطيع ان نقسم البلاغة تقسيمات جديدة تساير الفن والحياة ، وتسير بصورة خاصة مع المراحل التي يسير عليها الفنان عندما يبدع عمله الفني وهي : الايجاد ، والترتيب ، والتعبير . !! .

وعلى كل حال الرمزية بدورها نوع من التعبير الفني ، لها ناحيتها العملية التي هي الشعر والنثر الرمزيان ، كما ان لها ناحيتها النظرية ، التي هي هذه الاصول والقواعد الفنية ، التي وقفنا عليها عندما درسنا نماذج مختلفة من الادب الرمزي نفسه والتي نريد ان نسميها ، بصورة قياسية ، وبعد كل ما تقدم ، بلاغة الرمزية ، او فن القول الرمزي !!! ولست انكر اني فكرت في ان استغني عن كلمة بلاغة هنا مكتفياً بتعبير فن القول الرمزي ، الا انني آثرت ابقاءها ، لما تحمله من ايحاء قوي ، ولاني قلت في نفسي ايضاً ان خير وسيلة الى تحميل هذا الايحاء حياته الجديدة اليوم ، هو ان اضع الكلمة الاصلية ثم اشير الى جانبها الى ان البلاغة

يجب ان تصبح فناً بكل معنى الكلمة .

ثم ، بعد كل شيء ، ان سألني سائل عما اذا كان في بلاغة الغربيين مثل ما اكتب فيه او ادعو اليه، اقول اني لا اعلم بالضبط هل عند الغربيين مؤلفات مثل مؤلفي هذا ، بل ليس يهمني ان يكون عندهم مؤلف مثل مؤلفي هذا او لا يكون عندهم مثله، لأتم هذه الخطوات ، الا انني اعلم علم اليقين ، ان الرمز (Le symbole) يدرس في بلاغتهم الحديثة عندما يدرسون في المرحلة الثالثة التي كنا اشرنا اليها من قبل (صور الاسلوب Figures de style) ويدرسونه مع المجاز (Métaphore) ومع التشبيه الرمزي المبسط (Allégorie) وغيرهما ، كما اني اعلم علم اليقين ، ان الاساليب الرمزية لها مكانتها المرموقة بين اساليبهم ، وبصورة خاصة في نقدهم الادبي وبلاغتهم .!

واذن نحن لا نرجم بالغيب عندما نقوم بهذه الدراسات بل اننا سنشير ، ان شاء الله في كل مناسبة ، الى المراجع التي نستقي منها ما نعتمد عليه مرجعاً مرجعاً .!

والآن ، لندخل اذن في تلخيص القول في دائرة البحث ومناهجه .!!

قبل كل شيء ، سنقسم بحثنا هذا - او بالاحرى قسمناه بالفعل - الى ثلاثة اقسام: نبدأ في القسم الاول بدراسة الرمز، لنميل في الثاني فندرس الجملة الرمزية ، وننتهي في الثالث فندرس الاساليب الرمزية المختلفة!.

اما القسم الاول فسندقق فيه ، اول ما ندقق، في المعنى اللغوي لمادة رمز - في اللغة العربية واختيها العبرية والسريانية - أي أبرز لغات الفصيلة السامية - وفي اللغة الفرنسية ومن قبل اللاتينية والاغريقية - اي ابرز لغات الفصيلة الهندية الاوروبية . ونشير كيف ان الغربيين عندما يستعملون كلمة الرمز يستعملونها - وبصورة خاصة في بلاغتهم - على انها اسم مذكر ترجمته في اللغة الفرنسية (Le symbole) ، في حين ان العرب عندما كانوا يستعملونها ، وبصورة خاصة في بلاغتهم ايضاً، يستعملونها على انها مصدر من رمز يرمز رمزاً ترجمته في اللغة الفرنسية (Faire allusion)!!.

ثم سنشير بعد هذا كيف ان هذا الاعتبار قد اثر في تطور الرمز في التراثين العربي والغربي ، ونرى كيف انه بينما تطور الرمز عند العرب تطوراً وصل معه الرمز الى الكناية الغامضة ، ومن هنا سميناه (الرمز الكنائي) تطور عند الغربيين حتى صار هذه الصورة الحسية Image sensible التي ترمز معنى لا يقع تحت الحواس ، وهذا هو المفهوم الجديد الذي نريد ان ندخله اليوم في البلاغة العربية الحديثة .! حتى اذا ما استقر هذا المفهوم الجديد في اذهاننا تكلمنا عن خصائص هذا الرمز: فنتكلم اول ما نتكلم عن مستلزماته ، اي عن ذينك المستويين الضروريين للرمزية مستوى المحسوسات ومستوى المعنويات اللذين يصل الرمز بينهما ؟ ثم نتكلم عن حياة الرمز ، اي عن شعور الشاعر بالرمز قبل ان يعبر عنه ، ثم نتكلم عن ايحاء الرمز ، اي هذه القوة الكامنة فيه والتي تجعله يثير بواسطة الاسلوب الرمزي الذي يصاغ فيه، افكاراً واحلاماً وعواطف للقارئ، لا يثيرها الاسلوب العادي، وهذا الكلام يجرنا الى التحدث عن غموض الرمز وابهامه ايضاً ، لننتهي من هذا كله الى الكلام في موت الرمز ، اي في هذه القوة الايحائية التي يفقدها الرمز مع الزمن ، فنتحدث عنها وعن مسبباتها ... وننتهي مع هذا ، من القسم الاول وندخل في القسم الثاني ، لدراسة الجملة الرمزية !!.

وفي هذا القسم الثاني ، لست اعني بالجملة الرمزية تلك الكناية التي ان قلّت الوسائط فيها بين اللازم والملزوم كانت رمزاً فانا سميت هذه الكناية رمزاً كنائياً لاضعها في معزل عن البحث ، كما انني لست اعني بها تلك الالغاز والمعميات التي افتن بها المتأخرون والتي درس بلاغتها العالم الهندي شمس الدين الفقير في كتابه «حدائق البلاغة» لا !! . وانما أعني بها هذه التشبيهات والاستعارات التي سنرى ان منها ما هو رمزي ، ومنها ما هو غير رمزي او عادي! ومن اجل هذا اذن سنتكلم اول ما نتكلم عن التشبيه والاستعارة بصور عامة ، ونرى اننا اذا تقيدنا بمستلزمات الرمز، وطبقناها على طرفي التشبيه، سواء أذكر هذان الطرفان ام لم يذكر منهما الا طرف واحد، استطعنا ان نقول مع الغربيين ان هنالك تشبيهات رمزية Comparaisons Symboliques كما ان هنالك تشبيهات غير رمزية او كما نقول فيها نحن، عادية . . . وسنعرض من اجل هذا ايضاً هياكل بيانية وضعناها لهذا الغرض . . . وننتقل من هذه الجملة القصيرة الى الجملة الطويلة التي قد تصل الى تأليف فقرة بكاملها، مثل التشبيه الرمزي المبسط (L'Allégorie) او اللاليغوريا والمثل (La parabole) والقصص الرمزية الحكمية الصغيرة (Les fables et les apologues) ، وندرس خصائص كل من هذه الجمل والفقرات ، وننتهي مع هذا ، من القسم الثاني لندخل في القسم الثالث، فنتحدث عن الاساليب الرمزية المختلفة !!

اما القسم الثالث ، وهو في الحقيقة القسم البلاغي المائع ، فسنبدأه بنظرات عامة في الاسلوب ، وهو طريقة في التعبير

(Manière de s'éxprimer) ، ثم ننتقل من هـذا الى دراسة الاسلوب الرمزي نفسه .. فنقدم لهذا الغرض بنظرة عامة عن المقومات الفكرية والعاطفية والشكلية التي لا بد من توفرها لهذا الاسلوب، والتي ان لم تتوفر فيه لم يكن هذا الاسلوب رمزياً ... وهنا سنتكلم عن الاسلوب الرمزي من غير التقيد بعصر بعينه او بادب بعينه ... حتى اذا ما اخذنا هذه الفكرة عنه ، قمنا ندقق ونفرق بين الاساليب الرمزية على اساس هذه المقومات : فلا نقف طويلاً على تقسيم الاسلوب حسب القالب الادبي الذي ينسكب فيه ، وهذا القالب ان كان شعراً يكون قصيدة او مسرحية او ملحمة ، وان كان نثراً يكون قصة او رواية او مسرحية او ملحمة ايضاً ، وانما نعنى اكثر ما نعنى بتقسيم هذه الاساليب حسب خصائصها الناشئة عن غلبة احدى المقومات الفكرية او العاطفية او الشكلية الاخرى، وسنرى ان الرمزية حسب هذه المقومات والخصائص ، تنقسم الى رمزية ادبية،ورمزية صوفية، ورمزية فلسفية ، سندرسها كلها بالتفصيل معتمدين على امثلة من التراث العربي والغربي على السواء ... وننتهي بعد هذا كله الى مقارنة بين الاسلوب العادي والاسلوب الرمزي،فنتحدث فيها بصورة خاصة ايضاً عن الغموض والايحاء ، وننتهي مع هذا من القسم الثالث والاخير !!.

وانا ان كان يسعدني ان ارى هذه الدراسات تسد حاجات فكرية وفنية معاصرة – ولا سيا في الدراسات الجامعية – فاكثم يسعدني ان تعم فائدتها على الثقافة العربية الناهضة !! .

القاهرة — عدنان الذهبي

بردى...

الآنسة ابلى ... « عطاظ »

☆

بردى ! ! يا دفقة الخير ، وينبوع الجمال
وانبلاج السحر ، والعطر ، المندّى بالخيال
ورفيف النور ، في كل مرام ومنال ،
ونشيد الخلد ، ينساب فتهواه الليالي
أنت ! ! يا جبار لو شئت الكنت المتعالي !! .

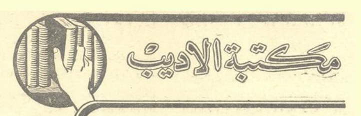
***

ها هنا ، في معقل العزة ، في (الفيحاء) تجري
تغمر الأنفس أحلاماً وسحراً أي سحر !!.
كم ترا ى لك ، في الايام ، من عبد وحر ،
وشهدت العز ، والامجاد تُطوى بعد نشر
... عالم زال ، وما زلت تناجي كل دهر .

***

سر ، الى الاعماق ، وارويها بأطياب عبابك
وانشد الاجيال احلام صباها وشبابك
قل لها : « مروان » لم يغفل : فسودي في رحابك !
إن في مقلته الحق ، ... عزيزاً ... من صلابك
.. بردى ! ! .. لن يشرب الاغيار من حلو شرابك .

دمشق — « عطاظ »



البرامكة في بلاط الرشيد

للاستاذ عبد الحليم العباس – ١٢٦ صفحة
مطبعة الجريدة التجارية المصرية – القاهرة

كتاب آسر . . ، سياقه ولذته اروع من الواقع كأنما ليسا اياه . . هو خبر عن البرامكة والرشيد ولكنه أوعى من عصرهما . كأنهما ليسا محوره وموضوعه . . انه كتاب كل برامكة ورشيد ، ووعي كل عصر وحياة ، – ذات المؤلف في كبرها واتساعها . . ترحب بالهفوات فتسيغها مع العصر جمال ضعف وخطيئة . .

كتاب آسر ؛ ان يكن قدري السرد للوقائع في اخلاصه الموضوعي ، فهو عبقري التألم للاخطاء . .

من هنا ينبع ان الكاتب الباحث «صوران» لا مصوّر واحد ، او انه ملاك ومارد من الجان ، يتوسطهما هذا الباحث «الانسان» .

هو ذاك ، تصوير المؤلف ، على منوال راعب ، صراطي النسيج والفن ، ابداعي في فهم الخطأ والضعف . . طفل طفل ، في الاتساق والانسجام مع الحدوث .

هوهذا تصوير المؤلف ، او هذا بعضه ؛ لا نقول خير من «الموضوع» المصور والآ لم يعد تصويراً . . وهو ليس في كله ، كذلك . . وانما هو تصوير المعز للجمال على الحالين ، حال وجود الجمال في الحادثة ، وحال نقصه او فقدانه . . انك اذن ، لن تعدم الجمال ولا الحق ولا هذه العائلة من القيم . . انك ، اذن ، لن تعدم الجمال يصوره المؤلف او يتمه او يسبغه . . وليس يتمه او يسبغه أو يضفيه تمويهاً للحقيقة التاريخية أو عليها . . كلا . . لانه يعرض رثاءك الواقع « او أنه يعرض رثاءك تصاوير الواقع كما انتهت اليه واليك – الينا جميعاً – هذه التصاوير أجنة سلسلها وعي التاريخ أو عفوه ، مقيسة الى الكمال أو معدودة على قبس تخوم الجمال . . فاذا أنت من الواقع ومما يجب ان يكون الواقع سعيد الحالين في سلسلتين من بناتهما . .

واخال ، بعد ، أن يكون هذا هو الذي عناه بقولته وهي كل نغمته البارعة : « كنت وما زلت يستهويني الحادث في التاريخ وفي الحياة بقدر ما فيه من شعر . ليس المؤرخ أن يطيل مجادلتي ، يزعم هذا للتاريخ فلا يصح ان أخلط به غيره ، لن أرعوي . . تلك طبيعتي ، لا استطيع وانا الانسان الضعيف أن ابدل منها . . له علي واحدة . . فليناقش بها وليشتد ، وهي أني ما سمحت ولن أسمح لحبي للشعر أن يجور على الحقيقة التاريخية ، مهما كانت جافة ومهما تمنيت أن لو سرى في برودتها دفء من العاطفة وحرارة الفن . . الصدق في الرواية جمال وشعر . »

– نعم أخال ، لانه في الواقع . . سمح لحبه للشعر والجمال والفن أن ينطلق بهذه جميعاً في تيه الحقائق التاريخية . . يريك جفافها ونضوبها . . وهو يوسوس لك بالماء النمير والخضرة . . ثم يشيع اشاعة صناع من صيف هذا الحب ، دفء العاطفة يحوط الشعر والجمال والفن وحقائق التاريخ . . ويستغرقها ، فاذا أنت ، فيما تقرأ ، تقرأ ما كان على ما تتمنى لو كان . . .

وأحسب ان الكاتب نفسه لم ينتبه الى اسلوب عرضه ونقاشه للحادثة ، لانه عفو نفسه وسجية منطقه . . انك لتجدن مقولات التاريخ تتداعى وليس لهذا التداعي من قانون . . الا واحد . . منطق الجمال والامكان معاً .

قال فلان وذكر فلان . . كل هذا السياق . . لتخرج الى نتيجة فيها صورة الجمال الى جانب . . وعلى صورة الواقعة . . فاذا أنت ، حقاً ، تشك في انهما لا تنطبقان عند ذلك ، يرجح عندك بعقل من هذا المنطق – وأنت اليه أسير – أن مقولات التاريخ لم تكن من مقولات المنطق كل حين . . وعلى حين لم تذهب الا غراراً مع جبرية الحدوث في سجام واحد . . لم يتعب فيها الجاحظ رواية ، ولا احتفى أبو حيان بما لما ينقل منها من خطر ، أليس يأخذ عن الجاحظ لا يبالي ، أو يتأثر به اذ يغالي . . والجاحظ مترسل ان دخل بك بحر شعر حصلك منه على ضفة الاوقيانوس الأخرى عبده يظن بينهما صلة ونسباً . . من بعيد او قريب . .

وابن خلدون والطبري وابن خلكان الخ . . – كل واحد من هؤلاء معنى بقدر ، ليس لنا ان نلقي مسبار بحث وهم الفينة بعد الفينة غفاة تسرقهم الرواية ويحمهم هذيان التاريخ .

قل كيف يعرض مواكب الاقدمين العابرين أفكاراً وأعمالاً ونزوات طباع . . عرضاً تستقيم لك فيه نفوسهم هياكل من نحو

العظم الذي تستقيم عليه أجسادهم ، وما يتم هذا على غير نهج علم بالنفس « قهرمـان » ، – فأنت لا تقرأ البرامكة والرشيد ولا المؤرخين والمؤرخ لهم ، وانما تقرأ وراء كل من ذلك ، معه ، العصر يعج بحق وبباطل ، والحياة ناهضة على قدم وساق ، ينطلق طوراً وبغيره طوراً آخر . . كما هي الحياة نفسها – تكاد تنمز الحاضر من غيبها وانقضائها وتبدهه بالحضور ، او يستوي منها الحاضر القائم اذ هي خلف ستـار الظهور . . حتى لتكرّر الاطلال من نافذة بيتك ، بلا وعي ، اثر مقطع أوفقرة ، ولتوقن من النـاس في الطريق ، تحسبهم رعية الرشيد وناس عصره . . فالحياة تشترطهـا الحياة ، لا تمثيلها ولا قصر الفهم عنها . والمؤلف هذا ليس يمثل الحياة المنقضية تمثيلاً وانما يخرجها بل تخرج على تصويره المتحرك ، على نحو ما خرجت أول مرة خروجاً آخر لا اخراجاً . .

***

لا ينس القارىء أنني صديق المؤلف ، الصداقة التي لا يقبل لي رجال القـانون شهادة له . . ولكنني فيما أشهد لنفسي ، وهو عندهم أدهى وأمر ، او فيما اعتذر عنها ، ازعم أنني – أنا الآخر – لن يستوهيني الكاتب لانه صديقي – فقد علم الله من قبل انني منذ عشرين عاماً لم أكن صديقاً له الا لانه استهواني بما في خزائن نفسه من طاقة على الفضائل قبل ان تكون اقوالاً منها . وما سبقت له مني الصداقة الا وقد سبقها مني عليه الاكتشاف ، والا وقـد سبقها معاً منه منطق اللزوم عن مستقبل ذلك الجيل . .

– وقد علم الله أنني ، بعشرين عاماً وهي تمضي ، لم ألقه الا مرات . . ولكنه على شحط السنين بينها لم يهجر نفسي بارحة يوم ، وما تزال صداقته عفو جوابي عن الصداقة لسائل ، ومنالها القريب . في نفس الحين من أنني لا عفو لي ولا انسياق الا العمد القـاصد من ارادة لسبق مكين .

دمشق — عبد الحكيم مراد

روح العروبة

للاستاذ عبد اللطيف شرارة – ٢٦٤ صفحة – المكتبة العصرية – صيدا

لم يكد النبي العربي يوحّد كلمة العرب على رأيه ويوجههم وراء خطاه ، حتى فرقتهم الاهواء وتناصبتهم المطامع عندما انخرطوا لاول مرة في تجربة الانتخاب للخلافة . فالحس « القبلي » لم يتبدد يوماً في جوانح العرب ، « والعصبية » العشائرية لم ينطفىء سعارها في عروقهم . فهم مجاميع قوم عاشوا ، حتى الرسالة الاسلامية ، في حلقة من الارض ، عقدت طرفاها عليهم ، فهي لا تنفرج لهم عن غيرها ، ولا لتكسر عقدتها لغيرهم ، فـانطووا معزولين ، وكان لهذه العزلة اثرها البعيد في اعداد البيئة العربية وتوجيههـا ، فقد احتدمت الأحقاد من جهة في الداخل ، بؤرتها صراع الدفـاع وشهوة للاغتصاب ، وأوصدت الأبواب من جهة للخارج ، فلم يعد يتلقى العربي غزوة من غريب وخيل يجوس بهـا دياره ويغشى ارضه ، فيشعر العربي اي عربي ان سلامه منوط بدرئها ، وكيانه مضمون بدفعها ، فيثور لسلامه ويغضب لكيـانه ويذوب فيما اصطلح على تسميته « بالشعور الاجتماعي » الإحسـاسة الاولى في أحاسيس القومية .

لم يوفق الاسلام ، رغم دعوته الاصلاحية الى حبس هـذه الملكات عن العمل او الى كف هذه النزعات عن الظهور . فالضمير الاجتماعي عنـد العرب كان ميتاً ، فبعثه بالدين . والدين ، في مفهوم الاسلام ، مساواة في الحق والواجب بين الداخلين فيه ومشاركة في المغانم والمغارم بين المنافحين عنه والعاملين على نشره ، لا فرق بين انسان وانسان ، من اي جنس كان ، والى اية طبقة انتسب فأصبح كل فرد بمقتضاه صاحب حق في الدولة وصاحب رأي في النظام وصاحب صوت في التوجيه . فاتخذت القبليّة في عهده مظهراً جديداً من مظاهر النضـال وكان الخلاف على الخلافة ابرزها . وفتح هذا الخلاف الموصول الأسباب ميداناً حراً للأقوام من غير العرب ، فاستهاموا به وافترقوا في طرقه وأعلنوا مفـاخره ، مستعينين بالدين ، يغالبون به على العنصرية في الانقلابات ويلقمون به فم العصبية المتشدق بالدعوات الباطلة ، في طموحهم الى المراتب .

واذا بالشعوب تغزوهم في عقر دارهم ، باسم الدين الذي قبسوه منهم ، ويصبح الاسلام ، معواناً على مسح الطابع العربي فيتخدر شعوره بنفسه انه عربي ، فيتنكر لروحيته ، تلك الروحية الـتي تمثلها في جاهليته وكانت « خالصة العروبة » وان لم تكن « خالصة القومية » بمدلولها الاجتماعي . فالعربي عاش عربياً ، حتى هذه الفترة ، وان لم يعش قومياً .

وكانت الحروب الصليبية : اوربا المسيحية تتنادى لانقاذ الارض المقدسة من براثن المسلمين ! فتعبأ الجيوش ، وتجيش الاساطيل ويخفق الصليب ، رمز التسامح والمحبة ، على البنود والألوية ، رمزاً للاستعباد والبغضاء . فيتشوه جمال « الانسانية » وتبلى مباهجها وتربد مفاتنها ، فينكفىء المرء على نفسه الطاوية . لينطلق منها ، وقد فقد المروءة وأضاع معانيها ، حيواناً تدفعه عيناه فلا يردعه قلبه .

طغت هذه الغمرة على خصائص الذات العربية ، وورائها تحت كثافات الاحقاد والتعصب ، واذا بالعربي، لأول مرة في مراحله، عربي اللسان ، اعجمي الروح والحشى .

مهّدت هذه الحالة النفسية الطامية للفتح العثماني وسيرت له . فانتشر سلطانه على جميع الاقطار العربية وقد كان لافتقار العثمانيين الى حضارة ، وتمسكهم بدين المغلوب ؟ وخلو سيطرتهم من العطاء، واضطرارهم الى الاخذ ، أثره القوي في توطيد مكانتهم وتثبيت دعائم ملكهم . وقد استجلى العثماني سر نفوذه ، وادرك ان استمرار هذا النفوذ موقوف على استمرار العربي بعيداً عن التحسس بمعاني عروبته — والعروبة هي الفارق بينهما — فعمل على تلويث الحقد التعصبي وايغاله في النفوس ، فأمن يقظة الحس القومي العربي الى زمن طويل .

تقفت فاعليات الخصائص العربية وشنجت، بعد ان سكنت ثورتها وخبت ، فاذا بالشرق ، كل الشرق ؟ يتقفص ويتقبض ، وينقلب الى كرة دفعتها العوامل التي انبثقت عنها واحتضنتها لترتد ، كطاق مدفوع ، بحكم الجاذبية، الى المدى الذي قذفت منه ، فاذا ببلاد العرب ، المستعربة منها والعربية تصبح ديار الاسلام ، وذلك بانتقال الخلافة الى ايدي العثمانيين، واذا بالمسود والسيد وحدة تامة فرضتها اهداف مشتركة ، فيتساند هذا البنيان السامق بأعمدة « الدين » ويتماسك بلبناته فتنبو لفظة « عربي » بمدلولها المثالي — وهو صفة لخلق وليس فارقاً لشعب — وتتقاص الفوارق الناتجة عن فيضانه وقد تشربتها الاوضاع الجارفة .

ونهض حزب تركيا الفتاة : العثمانيون يتلمسون « ذاتيتهم » في حاضرهم ، فلا يجدونها . وكانت يقظة لاهبة ، ولدتها انتفاضات الواقع الظافر لحيّزه ، فدوت الصيحة « تركيا للترك من اي دين ، وللترك وحدهم دون غيرهم . » .

روّعت الصيحة الشرق العربي وهزته ! فالترك الذين استخلفهم على دينه ، واستأمنهم على كيانه ، انسلخوا عنه وأدبروا ، ليعودوا الى « تتريكه » وفرض سيادتهم عليه كفاتحين غزاة ، فتملكته حيرة الطيف تغالبه الاشعة ، وأخذه الدوار وتخلّج .

أوغرت الصدور ، وانتظر العرب بالترك الصروف ، فسهلت لهم بالحرب العالمية الكبرى المحاولة الاولى ، وانطلقت صرخة الشريف حسين تدعو العرب الى مقارعة تركيا ومنازلتها ، فهبوا يوقعون بفلولها ويرقصون في مأتم انكسارها، مهللين هازجين .

ولكن « العروبة » لم تستعد معناها ، بالرغم من محاربة العرب تركيا كعرب . فالعرب في ثورتهم لبّوا داعي كرامتهم التي انتهكت وذممتهم التي خفرت ، ودينهم الذي اهين ، هذا ما تستجليه من نداء الشريف حسين يصم الاتراك بالمروق والزندقة والشعوبية ، والخيانة ، فالثورة لم تكن اذن الا انتفاضة الكبرياء الجريحة .

وتبقى « العروبة » محفزاً شعورياً للجماعات ، طيلة فترة ما بين الحربين . فالاحداث التي تعاقبت على الشرق العربي، وقطعت أوصاله ، ونوعت جنسيات وأساليب مستعمريه هيأت لاقطاعييه تمثيل شعوبه والتعبيد بينهم، فتقنعت « العروبة » وهي سلاحهم — بألف قناع ، وارتدت كل ثوب، وحملت اكثر من معنى ، وكانت في كل هذه الادوار ، تعبيراً عن ارادات الملوحين بها لتوطيد زعاماتهم ، وفق البيئة الموحية والظرف الملابس .

وتشاء الاقدار ان يكون للعروبة من يتحيف ما يلابسها ، فيكب للبحث عن جوهرها واكتناه معانيها الاساسية الرفيعة ، فتتشقق تحت يراعه عن عبقرية اشعاعاتها ونقاء منابعها في كتابه « روح العروبة » .

لم يتناول المؤلف « عبد اللطيف شرارة» « العروبة » « كموضوع علمي » يعرضها فكرة مستقلة عنه ، مرتبطة بنطاق « موضوعيتها » ولكنه بسطها « كقضية كيانية » يتركز مصير الامة العربية على تفهم اصولها، وإدراك حقائقها، وتستعيد الشخصية العربية خصائص « ذاتيتها » باستجلاء دقائق مثاليتها فيها ، فالعروبة كما يحددها : «جملة معان ومزايا وأخلاق نشأت في فطرة العربي» وتعبير « نشأت في فطرة العربي » خليق ان يكشف لنا عن اهتمام المؤلف واجتهاده فيما يعني امته من جهة ، وعن نظرة المخلصين من المناضلين الاحرار في « القومية العربية » من جهة ثانية .

يعرض اول ما يعرض الى « مثال الروح العربية » فيراه واضحاً زاهياً في النبي العربي ، فهو لم يكن من حيث هو نابغة ، الا خلاصة احداث وتجارب ، ومن حيث هو بطل ، الا عصارة امة عريقة بالبطولات « وما الاخلاق الفاضلة العظيمة التي حلّق بها ، الا خلاصة ما رسب في قرارة النفس العربية من ميزات وسجايا » .

ثم يعود في فصل « العرب كأمة » الى تدعيم هذه الحقيقة بجدة وجرأة فيقررها دون مداورة ولا مخاتلة .

وهكذا ينجاب القتم الكثيف لتنكشف المعجزة في انتصار الاصل على الفرع والقومية على الدين .

ويمضي المؤلف على هدي العقيدة وإلهام الجنس ، يرد العروبة

الى طبيعتها مجلوة الصدر، عفيفة الاديم، معطياً الدليل على ما يدعو له، وينبه لتعقب سقطاته. فيعالج «التوحيد» العقيدة الاولية في الاسلام في «العربي كفرد». «انه آخر مرحلة من مراحل تطور العربي الديني، لميله العنيف الشديد للايجاز.» فلا يتاح لذهنه الا ان ينتهي الى هذه النتيجة المنطقية، وقد قررتها «مقدمـات موجودة ثابتة» مبيناً في «العقلية العربية» ان التفكير العربي ليس دينياً في اساسه ولا نظرياً، وإنما كان ولا يزال يحاول فهم القضايا الحيوية فهماً عملياً، يجعله قادراً على تصريفها وتحويلها.

بعد ان انتهى المؤلف من تبيان فاعلية «العروبة في الاسلام» عاد يرسم «للاخلاق العربية» صورة رائعة تطفح بالوضوح وتطفو بالدقة بعدان استملاها ووقعت في حسه وقلبه. فتراه يغالب تحديداً على تحديد ويساعد اتجاهاً على اتجاه، بطريقة تشف عن صفائها في نفسه، وعن إشراقها في ذلك الصفاء، فينقلها لك مشهداً عما في قلبه، ريانة تنضح بالالهام. فالنجابة، والشهامة، والنخوة، والسرو، والكرم، والوفاء، والمروءة، والعنفوان، تلخصها كلها كلمة «مروءة» فهو لا يعمد الى التحديد الجاف، او الى التعريف الشائع، بل يخرجها لك اسلوباً عن بلاغة احساسه بها، ومـا يكاد يفرغ من تشخيصها، حتى يقرع العرب ان ينهضوا للخروج بالانسانية من هذه الأزمة التي تعانيها. لان «المروءة» وجدت بطبيعتها لهذا العمل.

ثم يعكف على ايجاد وسائل البعث العربي نلخصها بمـا يأتي

١) ايقاظ فكرة الامة بمعناهـا العربي عن طريق البيت والمدرسة والصحافة والسينما والاذاعة والنوادي.

٢) احياء اللغة العربية في الاذهان والقلوب بإعادة المعـاني والمعنويات الروحية الى حياة الشعب.

٣) تعريب المدنية الراهنة تعريباً تامـاً يشمل جميع فروع المعارف والفنون.

٤) العناية بالنسل برعاية المنشآت الصحية والمؤسسات الاختبارية واحداث تيار خاص يجعل ابناء الاقليم العربي يتزوجون من بنات الاقليم العربي الآخر.

٥) انصهار الافراد في أحزاب وانصهار الاحزاب في فكرة عربية واحدة.

كنت اتمنى ان لا يلحق هذا الفصل بالكتاب وان لا يكون خاتمته، فالوسائل التي قدمها، فيها تقصير عن معاني البعث، وتجاوز لمفهومياته. فهل حركت هذه «الوسائل» العربي في جاهليته أو في امتدائه حتى تحركه اليوم؟!.

كان العربي يتبع كل هذه الارشادات في جميع مراحل تاريخه ونضاله ولكنها لم تدفعه الا ساعة حمل اداء الرسالة، فصحا ونفض عن الوجه الغبار، وعصف به سعار الايمان، فاندفع يزرع الخير والهداية، وانطلق يتدفق بالسـلام والحق، حتى اذا بلغ، أغفى واسترفه. هذا هو شأن الامم في نهوضها فهي لا تصول ولا تهدر الا لتأخذ او تعطي. فهل تتضمن هذه الوسائل محفزات الاخذ او العطاء!.

ولكن المؤلف وقف الى ابعد مدى في التعليل والاستنباط؟ فهو يروي الحادثة ثم يستنزف الشواهد منها على العبرة التي يستخرجها او على الرأي الذي يسعى الى دعمه، في اسلوب، جيد التقسيم سليم المنطق، رصين التفكير، عميق البحث، طويل النفس، فهو يقلب الفكرة على كل وجوهها، وينقب في جميع مطاويها، ثم يستشرفها ليصوغها وهي تفيض بالمعنى، في قالب ينضح بالعذوبة وفي اطار يشع باللون.

وحسب الكتاب ان تصفي العروبة بين دفتيه، فتنسم نفثات روحها على الانفس القلقة الحيرى، حتى يكون كتاب الموسم.

وحسب المؤلف، في غمرة تأليه حيوانية الانسان، يثير حملة الاقلام غرائز الشر منه، ويقدمون له من حقارته ما يسمن تلك الحقارة، ان يقدم لنا كتاب «روح العروبة» فينعش ما ذوي من امل، ويجدد ما وهن من قوة، حتى يكون قد وفى قسطه للعلى.

«ابو سلام»

الاعلام بفضائل الشام

لأحمد بن علي المنيني – شرحه وصححه وعلق عليه الاستاذ احمد سامح الخالدي – ١٧٦ صفحة – منشورات مكتبة الطاهر اخوان – يافا

أحيطت الشام منذ القرن الاول الهجري بهالة من التقديس. فوضعت احاديث كثيرة يبين فضلها وشأنها. ثم الفت في القرون المتتابعة تواليف متعددات خصت بفضائلها وحثت على السكنى بها لغايات مختلفات.

وكتاب الاعلام واحد من هذه التواليف. وقد سبق المنيني في كتابه، ابن عساكر وابن قاضي شهبة وابن عبد السلام والبصروي، وغيرهم: فألفوا في فضائل الشام فنقل كل منهم ما كتبه سلفه، فاذا استقريت هذه الكتب، وجدت فصولا متشابهة، لا تختلف الا بزيادات قد يضيفها المؤلف اللاحق على المؤلف السابق.

وهذا الكتاب ألّف في القرن الثاني عشر . وشأنه بالاضافة الى ما نقله ممن سبقه في الملاحظات الخاصة التي يذكرها والتي هي وليدة عصره .

وقد أراد الاستاذ الخالدي أن يضيف الي جهوده العلمية المثمرة السابقة هذا العمل الجيد، فنشر الكتاب وشرحه وصححه وعلق عليه .

ولعل مما جعل للكتاب شأناً هو مقدمة الاستاذ الخالدي عن تاريخ سورية في القرنين السادس عشر والسابع عشر . والذيل الذي أردفه في آخر الكتاب عمن دخل دمشق من الصحابة والتابعين .

وفي الكتاب فهارس للاعلام والقبائل والاماكن والبقاع .

وبالجملة فان الكتاب موجع من مراجع تاريخ دمشق . جعله الاستاذ بما أضاف اليه جديراً بالمطالعة والقراءة .

دمشق — صلاح الدين المنجد

معجم الالفاظ العامية

للدكتور انيس فريحة — ٢٠٠ صفحة — مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونيه

هو كتاب وضعه حديثاً الدكتور انيس فريحة استاذ اللغات السامية في الجامعة الاميركية في بيروت . وقد استوعب فيه الشيء الكثير من الالفاظ العامية اللبنانية لا سيا الشائعة الاستعمال في بلدته رأس المتن . وقد نوه الدكتور ببعض الدراسات العامية التي قام بها المستشرقون وسواهم من ادباء العرب امثال المونسيور ميشال الفغالي استاذ اللغة العربية في معهد بردو للمستعمرات فجاء معجمه هذا كتاباً نفيساً ليس لما فيه من الفاظ فحسب بل لمـا هنالك من ملاحظات علمية رصينة . بحيث يحاول المؤلف جهده في رد الكلمات العامية الى اصلها الفصيح قبل التحوير حيناً والى اصلهـا السامي والاجنبي حيناً آخر مع اثبات النص السرياني او العبراني او الآرامي بالحرف ذاته . والدكتور فريحة لا يدعي العصمة في دراسته كما انه لا يدعي انه استطاع بعلمه هذا ان يجمع شتات الالفاظ العامية اللبنانية بل يقر متواضعاً بأن ما جمع بين دفتي الكتاب يكاد لا يتعدى حدود بعض المناطق اللبنانية، هذا بالاضافة الى ما اخذه من المصادر المختلفة التي يشير اليها .

وكنا نلاحظ ونحن ندرس على استاذنا الكريم اللغة السامية ، هذا التعطش لمعرفة الالفاظ الشائعة في كل منطقة لبنانية او سورية او فلسطينية . وليس جمعه لهذه الالفاظ وردها الى اصولها بالشيء الجديد وانما الجديد في الامر هو هذا الاتجاه العلمي الذي في دراسته . بحيث تراه يحرص على التلفظ باللفظة والتقيد بحركاتها بالشكل العامي . وبعبارة ثانية فقد كان اهتمامه بالحركة لا يقل عن اهتمامه في ضبط الحرف ومن ذلك قوله :

« يظهر اثر الارامية في الضمير على مختلف اشكاله فعندما يقول اللبناني éna (أنا) فانما هو في الواقع يلفظ انا السريانية على لفظ المشارقة لا المغاربة وعندما يقول الفلسطيني في بعض انحاء البلاد (أني) ani وعندما يقول العراقي âni فانما هما يتلفظان بلفظة انا العبرية او ربما الآرامية القديمة مما يدل على ان العامة تحتفظ بلفظ الضمائر كما كان في اللفظة الاصلية . »

ولعل القارىء الكريم بعد هذه الكلمة الصغيرة يريدان يعرف مقدار النفع الذي ينجم عن دراسة العامية فاحيله بذلك الى المؤلف نفسه حيث يجيب :

« نعتقد اعتقاداً راسخاً ان في هذه الابحـاث جزيل النفع وسنجمل رأينا في نقاط اربع . وللمطالع ان يقرنا على رأينا وله ان يخطئنا : اولاً : مما لا شك فيه ان الكثرة الكثيرة من هذه المفردات سامية الاصل اي هي عربية غير مثبتة في معاجمنا لاننا من القائلين ان اللغات السامية المختلفة هي لهجـات عربية وان الساميين مهدهم الاول الجزيرة العربية الخ .

ثانياً : معنى اللفظة العامية محدد وليس بالمستبعد ان يكون المعني العامي المعنى الاصيل للكلمة الخ .

ثالثاً : تستغل العامية القياس في اللغة الى ابعد حد فكأنهم عن غير وعي يأخذون بمبدأ من قال :

« ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم » وعندنا ان اتباع القياس في العامية استمرار طبيعي لعبقرية اللغة .

رابعاً : أبقت العامية مبدأ الاشتقاق حياً لم تحد من نشـاطه بل استغلته الى ابعد حد كما فعلت بالقياس فيقال بدلاً من لعّب الطفل ونزّله ليعبه ونيزله الخ .

وينهي الاستاذ المقدمة بقوله : و « ختاماً ان القاموس يبدأ به ولا ينتهى منه » هذا بعض ما جاء في مقدمة هذا المعجم النفيس فعسى ان تفيد منه المجـامع العلمية اللغوية يوم تنهض لوضع معجم عربي شامل يرتكز على اسس فيلولوجية صحيحة يسهل على الطالب ان يظفر بجذر الكلمة في مدلوله الاصيل ثم ينتقل بعـد ذلك الى الاشتقاق وما يكسبه للفظة من معان تقنية جديدة . وبالطبع فان المؤلف وزملاءه لا يهدفون من وراء عملهم هـذا الى تشجيع العامية بل الى الحد من انتشارها والافادة من استغلال بعض الفاظها التي لا مقابل لها في اللغة الفصحى ولا سيا اذا جاءت عربية النجار .

وديع ديب

النشاط الفني في النادي الثقافي العربي

بقلم الآنسة سلوى روضة

بأمل النادي من عرض هذه التقارير المفصلة عن اعماله الفنية .

اولا : ان يصبح على اتصال ولو غير مباشر بالحركات الساعية للاهداف نفسها في العالم العربي .

ثانياً : ان يقدم الى القراء خلاصة ما يستفيده من نشاط العاملين في الحقل الفني ممن تسمح له الظروف ان يتصل بهم او يستمع اليهم .

ثالثاً : ان يساهم طاقته في التشديد على اهمية التذوق الفني في حياتنا الاجتماعية وانعكاسه في الحياة اليومية .

والمبدأ الذي يتبعه النادي في هذا السبيل هو المبدأ النقدي الذي اجمع عليه جميع النقاد العرب من قدامة الى ابن الاثير من ان التذوق الفني ليس امراً عفوياً وانما يقوم على التمرس الطويل باسباب الثقافة الشاملة . فالفكرة السائدة عندنا وتنزع الى القول ان الذوق امر فطري ولكل انسان ذوقه الخاص هو قول هدام لبناء الذوق السليم ومناف للمبادىء العامة المتبعة في العالم ولتراث النقد العربي . ان ملكة الذوق فضلاً عن كونها فطرية في الانسان تحتاج الى تهذيب طويل يبدأ عند الطفولة ولقد تخصص البرامج المدرسية واليوم في الدول الغربية قسماً هاماً لتوجيه الطالب نحو بعض المقاييس العامة التي لا يجوز لمثقف ان يجهلها . فهناك دروس في الموسيقى وهناك دروس في معرفة الالوان واصول مزجها وهناك دروس في تاريخ الفنون وطابع كل فترة من النشاط البشري .

ويتخرج الطالب فيجد امامه معارض دائمة في كل مدينة ثقافية يتصل بها فيظل على اتصال بالانتاج الفني الذي يساعد على استمرار نمو ملكة التذوق فيه .

خلافاً لما نجده عندنا من اهمال في هذا الحقل فينشأ الطالب ويتخرج من الجامعات وهو يجهل حتى المبادىء الاولية في اصول التذوق . ولعدم وجود معارض دائمة كذلك يتعذر على المتذوق ان يتصل بالانتاج الفني ومرافقة فنانينا في نشاطهم وتقدمهم ؛ فالصلة بين الفنان والمتذوق تكاد تكون معدومة ؛ وذلك يقتل عنصر التشجيع عند الفنانين ويقتل عنصر التطور في التذوق عند المتذوقين .

ولقد ادرك النادي هذا النقص منذ تكوينه على انه لم يشأ ان يواجهه دفعة واحدة لشعوره بعظم هذه المهمة وخطورتها لذلك اخذ يسعى اليها تدريجاً فوزع نشاطه على شعبتين .

الشعبة الاولى هي الرسالة التي يؤديها كل ناد في اي بلد كان وهي توثيق العلاقة وفتح مجال للتعارف بين افراد الفئة التي يمثلها ، فحاول النادي لذلك ان يكون واسطة تعارف بين الفنانين من جهة وبين الفنانين ومتذوقي الفن من جهة اخرى ولقد سعى الى ذلك عن طريق حفلات التعارف التي كان يدعو اليها الفنانين ومتذوقي الفن في بيروت .

ثم اضاف الى ذلك في السنة الماضية فكرة جعل بيت النادي بمثابة معرض دائم تعرض فيه لوحات الفنانين من محترفين وهواة فتتبدل مرة كل اسبوعين والذي يطلع على برنامج النادي ويعلم كم تعقد فيه من الحلقات في خلال اسبوعين من فنية وادبية وفلسفية وموسيقية وما يعقد فيه من اجتماعات عامة يعلم كم يتمتع بهذه التحف من متذوقي التصوير خصوصاً اذا علم ان اعضاء النادي يوجهون انظار الحضور الى هذه اللوحات في كل اجتماع . وفكرة المعرض الدائم هذه من الشعبة الثانية من عمل النادي . وهي محاولة سد الفراغ الذي يتركه اهمال السلطات لفكرة المعارض الدائمة .

على ان الفراغ الاهم هو نقص برامجنا من الناحية الفنية وهذا ما يحاول النادي ان يعالجه هذه السنة ولذلك فقد وضعت لجانه الفنية برنامجاً لاعطاء سلسلة محاضرات يقدمها جماعة من المتخصصين في تاريخ التصوير فتعرض هذه الجماعة تاريخ فن التصوير في ادواره المختلفة الى ان تصله بعصرنا الحاضر — والقصد من هذا الدرس مساعدة المتذوق اليوم على ان يقدر القطع الفنية التي تعرض له

فيحكم الى طابع اي عصر تعود واهميتها بالنسبة الى المدرسة التي تمثلها . وتتوخى اللجنة الفنية في النادي ان تجعل من هذا الدرس مقدمة الى دروس تفصيلية في التصوير تعطى في السنوات المقبلة

الدرس الاول

ولقد كان الدرس الاول مخصصاً لدراسة الفنون الجميلة عند القدماء . والقصد من هذا الدرس ان نرجع بالتصوير الى اصوله الاولية حيث توجّه النشاط البشري الى اهمية التناسق في اللون والشكل واثرهما النفسي في حياته .

ولقد قسم الامير شهاب العصور القديمة الى اربعة حضارات : الحضارة الايجية والبابلية والمصرية والفينيقية .

ثم قال ان القدم في الزمن لا يعني تأخراً في الحضارة فهناك حضارات قديمة تدل اثارها على تقدم في مجالي العمران والفنون اذ ان الفنون تزدهر وتتلاشى مع ازدهار وتلاشي الامم التي تنشأ فيها .

وهنا عرض تاريخ هذه الحضارات الاربع رابطاً مزاياها بطبيعة الاقليم الذي اطلعها والعوامل السياسية والنفسية التي رافقت هذه الشعوب .

فالحضارة الايجية التي عمرت اكثر من الفي سنة والتي نشأت في جزر بحر ايجة وخاصة كريت فانها قد طمس اكثرها نتيجة لغزوات القبائل الشمالية التي تسلطت على هذه الجزر . ولولا اعمال الحفريات الحديثة لكنا اليوم لا نعرف من هذه الحضارة الا ما جاء عنها في شعر هوميروس والاساطير اليونانية .

واهم مزايا هذه الحضارة .

اولا : ان صعوبة الحياة في تلك الجزر قد ارغمت سكانها على مزاولة التمارين الرياضية التي تكسب الجسد قوة ورشاقة تساعده على الحياة والتغلب على تلك الطبيعة وقد اثر هذا على تصاويرهم التي تغلب عليها مظاهر الرشاقة والقوة .

ثانياً : ان هذه الجزر لكونها جزراً جعلت أهلها على اتصال وتفاعل مع المخلوقات البحرية ، ونحن لذلك نجد ان الاخطبوط أخذ موضوعاً فنياً يرسمونه على الاقداح والآنية الزجاجية وغيرها ويتلاعبون به باساليب فنية جميلة .

ثالثاً : انهم لوجودهم في بلاد معتدلة الطقس مشرقة الشمس لم يحتاجوا الى تصاوير نافرة لان الشمس تظهر الخطوط ، مهما دقت ، بشكل بارز .

ولقد أثرت هذه هذه الحضارة على الحضارة اليونانية مما يفسر لنا سرعة ازدهار هذه الاخيرة . ولعل هذه الحضارة ما تزال فاعلة في الفن الحديث حيث يُؤخذ كثير من مواضيعها فيُنسج على منواله .

اما الحضارة المصرية فقد نشأت على ضفاف النيل مطوقة بصحراء ليبية من ناحية والصحراء العربية من ناحية ثانية ولذلك قد ظلت منعزلة نوعاً ما وهذا ما حفظ لها طابعها الخاص الذي من مزاياه .

اولا : ان النور عندهم قوي جداً ولذلك لم يحتاجوا الى خطوط بارزة .

ثانياً : ان المصري كان يعتقد ان الجسم غلاف للروح حتى بعد الموت ، فكان يحافظ على الاجسام ومن هنا نشأت فكرة التحنيط ، وفضلاً عن ذلك فانه كان ينحت التماثيل الشديدة الشبه للاشخاص لانه كان يعتقد ان الروح اذا فني الجسد تحل بهذا التمثال الشبيه به ولهذا عنوا باتقان الشبه في النحت .

ثالثاً : كان المصريون يخافون ان تسلب اطراف هذه التماثيل لقيمة المعدن المصنوعة منه ولذلك فانهم كانوا ينحتون الايادي ملتصقة بالجسد ليصعب انتزاعها .

رابعاً . كانوا في بادىء الامر شديدي التزلف لفرعون ويظهر ذلك في صورهم التي تدل على الخنوع امام الحاكم .

اما الحضارة البابلية فأساسها عنصران العنصر الشمري الآتي من افغانستان والذي حل في العراق ، والعنصر السامي الاكادي ، وقد كان لكل من هذه العناصر مزايا امتزجت بينهم وكونت حضارة جديدة . ومن مزايا هذه الحضارة النبوغ في اظهار مظاهر القوة .

اما الحضارة الفينيقية فانها نشأت في بلد منفتح على جميع تلك الحضارات ، نتيجة لكون الفينيقيين اهل تجارة وسفر مستمر ، ولذلك لم يكن لهم فنهم الخالص وانما كانوا يقتبسون من الحضارات الثانية اشياء يطبعونها بلون لهم خاص هو التشديد على اظهار عنصر الحياة في صور النبات والمخلوقات الحية .

الدرس الثاني

اما الدرس الثاني فكان درساً تطبيقياً في التصوير عرضت فيه لوحات للسيدة الفنانة بيبي زغبة وذلك بمناسبة وجودها في بيروت . فدعيت الفنانة الى حفلة شاي مع لفيف من الفنانين فاجتمع اليهم طلبة الصف في حلقات يبحثون فيها الاتجاهات الفنية لهذا اللون من التصوير مقابلين اياه بما عرض معه من لوحات لكبار الفنانين عندنا .

والسيدة زغبة فنانة لبنانية نشأت في لبنان وهاجرت منه الى الارجنتين في الخامس عشر من عمرها ، حيث انصرفت الى دراسة الادب عشرة سنوات متواصلة حتى كملت ثقافتها العامة وتحققت شخصيتها .

• يزور بيروت ، هذه الايام ، الاستاذ غوستاف فون جرونبوم ، استاذ اللغة العربية بجامعة شيكاغو بأميركا ، وصاحب الكتاب الذي تحدث عنه الدكتور عبد الرحمن بدوي في هذا العدد من « الاديب » وهو يقوم برحلة في البلاد العربية ستستمر تسعة اشهر يزور خلالها المكتبات العربية ويتصل برجال العلم والادب فيها .

• قرر مجلس الجامعة السورية منح الدكتوراه الفخرية في الحقوق الى فخامة رئيس الجمهورية شكري بك القوتلي تقديراً واعترافاً بأعماله المجيدة في توحيد حياة الجامعة العلمية الى امثل الغايات وأكرمها .

وقد سطر هذا القرار بماء الذهب ورفعه مجلس الجامعة الى فخامة الرئيس الدكتور القوتلي .

وكان هذا القرار الحكيم صدى لما يحس به جميع المشتغلين بالشؤون الثقافية نحو فخامة الرئيس السوري الاول من اكبار واعتراف بالجميل .

• قررت الجمعية العمومية لمنظمة الثقافة الدولية تلبية دعوة الحكومة اللبنانية بشأن عقد المؤتمر الثقافي الدولي الثالث في بيروت عام ١٩٤٨ .

و« الاديب » ، اذ ترحب برجال الثقافة وممثلي العلم في العالم يجتمعون في لبنان ويتداولون شؤون الحياة الفكرية ومشاكلها وما يكتنف مستقبلها ، اذ ترحب الاديب بهم تتساءل : هل اعدت الحكومة اللبنانية عدتها لهذا المؤتمر ؟ وكيف سيكون موقف رجال

حركة أدبية

الاختصاص في وزارة المعارف اللبنانية من المؤتمر ؟ ومن سيمثل لبنان في هذا المؤتمر : رجال النيابة والسياسة كما كان الحال في المؤتمر الثقافي العربي ، ام رجال دين كما كان في اجتماع منظمة الثقافة الدولية ، ام من الاعيان والوجهاء . . . !

• تقرر كتاب « هموم الشباب » للدكتور عبد الرحمن بدوي على طلاب « الاجريجاسيون » للغة العربية في جامعة السوربون بباريس . وشهادة الاجريجاسيون هي اصعب واعلى شهادة يحصل عليها طلاب العلم في جامعات فرنسا .

• قرر مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول بالقاهرة ، ترشيح الدكتور طه حسين بك الى منصب « استاذ غير متفرغ » للآداب العربية بكلية الآداب .

والاستاذ « غير المتفرغ » لقب جديد تعني به جامعة فؤاد الاول الاستاذ الذي له حقوق جميع الاساتذة ذوي الكراسي ما عدا الانتخاب للعمادة .

• كتب الكاتب الفرنسي الشهير اندريه جيد يشكر لجنة نوبل التي منحته جائزة الادب في العام الفائت ، فقال : « . . . كان المجد الذي كنت احلم به هو المجد الذي أحرزه كيتس وبودلير ونيتشه وكيركجورد وغيرهم ممن سمعت اصواتهم بعد وفاتهم بزمن طويل . فالشرف الذي اوليتني اياه السويد جعلني ادرك اني اخطأت التقدير ولم اكن اظن ان العمر سيطول بي الى الحد الذي وصلت اليه . . » .

• يستقبل مجمع فؤاد الاول للغة العربية عضوين جديدين في هذا الشهر ، وهما معالي الاستاذ علي عبد الرازق بك والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . ويقضي قانون المجمع بأن يكون استقبال الاعضاء الجدد في جلسة علنية وسيتولى الاستاذ عبد الوهاب خلاف بك تقديم معالي الاستاذ علي عبد الرازق بك ، كما يتولى الاستاذ عباس محمود العقاد تقديم الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني .

• تصدر قريباً وزارة المعارف السورية مجلة شهرية باسم « المعلم العربي » تبحث في التربية والتعليم ، وسيشرف على اخراجها لجنة خاصة من رجال وزارة المعارف . وسيكون باب الكتابة مفتوحاً لجميع الاساتذة والمدرسين وغيرهم من الكتاب على ان تكون المقالات متفقة مع اهداف الوزارة وخطتها التوجيهية .

• الفت وزارة المعارف المصرية لجنة من اساتذة اللغة العربية لدراسة المعجم الذي كان المرحوم محمد النجاري بك قد اعده .

ومعجم النجاري بك يرتب معجم لسان العرب لابن منظور على اسلوب حديث ييسر الانتفاع به . وقد اجتمعت اللجنة بدار مجمع فؤاد الاول للغة العربية ونظرت في طريقة المعجم وراجعت بعض مواده ، وستنتهي من مراجعتها له في وقت قريب .

• تتجه النية في وزارة المعارف المصرية الى تشجيع الناشئين من الادباء والفنانين . وقد

فانصرفت الى فن التصوير انصرافاً احرز لها اعجاب الطبقة العالية في وطنها الثاني واعجاب جميع الفنانين المعاصرين الذين زاروا معارضها الفنية .

ولقد اشتهرت السيدة بيبي زغبي في تصاويرها للازهار التي تخلع عليها كل ما في النفس البشرية من نوازع وخلجات ولقد اشتهرت كذلك بدقة احساسها للون ، والون المرح فتبعث تصاويرها عند المتذوق غبطة لا يدرك مصدرها .

واشتهرت السيدة زغبة كذلك بجرأتها في التلاعب بالموضوع وعدم تقيدها بالاصول الكلاسيكية فالزهرة عندها ترمى على اللوحة مثلما تشاؤها ان تكون اطابقت بذلك الاصول المتبعة املا . وباقة الزهر عندها تكون باناء وبدون إناء ، وتجعل للصورة « بعد » perspectif او لا تجعل . فهمها الوحيد هو ان تؤدي للصورة الجو الذي ارادته .

ولقد دار البحث في هذه الحفلة حول اهمية عدم التقيد بالقواعد الفنية واطلاق النفس على حريتها لتجد لها لوناً من التصوير يلائمها وهذا ما ارادت السيدة زغبة التشديد عليه .

عن اللجنة : سلوى روضة



٢١ ت ٢ سنة ١٩٤٧ : خطب المسيو بلوم امام المجلس الوطني لنيل الثقة ، فنبه الى اخطار الوضع الراهن في فرنسا ، قائلاً : ان هذا الخطر يتأتى من الشيوعية الدولية التي اعلنت حرباً مكشوفة ضد الديمقراطية الفرنسية .

– بعثت الحكومة السوفياتية بمذكرة الى السيد قوام السلطنة تحتج فيها على ايران لرفضها اقرار اتفاقية البترول وتحذرها من تبعات تصرفها العدائي .

٢٢ – خذل المجلس الوطني الفرنسي المسيو بلوم ولم يمنحه الثقة ، وكلف رئيس الجمهورية المسيو روبيرشومان بتأليف الوزارة الجديدة .

– وافقت لجنة الشؤون الخارجية بالكونغرس الاميركي على مشروع مرشال المستعجل بمنح فرنسا وايطاليا والنمسا مساعدة بمقدار ٥٦٧ مليون دولار .

٢٤ – اجتمعت لجنة فلسطين الخاصة للمناقشة حول التقسيم فهاجم المندوب الروسي موقف بريطانيا واتهمها بأنها تعرقل الجهود لحل القضية ، ورفض مشروع العرب بالدولة الموحدة .

– عين الرئيس ترومان الجنرال عمر برادلي خلفاً للجنرال دوايت ايزنهاور في رئاسة اركان الحرب .

٢٥ – اعتقلت الحكومة المصرية بعض الضباط بتهمة المؤامرة لقلب الحكم بمصر .

– افتتح موتمر وزراء الخارجية الاربعة الكبار بقاعة الطاولة المستديرة بلانكستر في انكلترا .

٢٦ – وافق موتمر وزراء الخارجية على بحث قضية النمسا في بادىء الامر وهو الامر الذي كانت تعارض فيه روسيا .

٢٧ – رفض الكونغرس الاميركي مشروعاً يقضي بتخفيض مساعدة اميركا المالية العاجلة لفرنسا وايطاليا والنمسا الى ٤٠٠ مليون دولار .

– ازداد التوتر بين الحكومة الفرنسية ونقابات العمال ، وقد انذر رئيس الوزارة بوقوع كارثة بفرنسا اذا استمرت الاضرابات .

٢٨ – حصلت الحكومة الفرنسية على ثقة المجلس الوطني بأغلبية الاصوات .

٢٩ – اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين . وقد صرح سعادة عزام باشا بأن اقرار التقسيم يعني اعلان العرب الحرب على اليهود .

١ كانون الاول – نشبت المظاهرات في جميع البلاد العربية وقد اعلن عزام باشا ان مجلس الجامعة يجتمع في ١٢ الجاري .

٣ – قامت معارك عنيفة بين العرب واليهود قرب يافا وقد عزلت المدينة القديمة بالقدس وفرض منع التجول عليها .

٤ – صادق المجلس النيابي السوري على مشروع التجنيد الاجباري .

٥ – اخفق وزراء الخارجية الاربعة في تسوية المعاهدة النمسوية وسيجري البحث في المعاهدة الالمانية .

٦ – منعت نظارة الخارجية الاميركية شحن جميع انواع الاسلحة الى الشرق الاوسط نظراً لوجود القلاقل بين العرب واليهود .

٨ – بدأت المحادثات الرسمية لتسوية النزاع الهولندي والاندونيسي ، على ظهر احدى سفن النقل الاميركية التي احضرت الى اندونيسيا لهذا الغرض .

٩ – امرت الحكومة السوفياتية جميع الرعايا الفرنسيين الموجودين في روسيا بمغادرتها حالاً واستدعت رعاياها من فرنسا وقطعت معها المباحثات التجارية نظراً للموقف العدائي الذي اتخذته الحكومة الفرنسية من الاتحاد السوفياتي .

١٠ – ردت فرنسا المذكرة السوفياتية لانها نشرت بالصحف قبل ان تتلقاها الحكومة الفرنسية .

١١ – اعلن مارشال ان اميركا ترفض منح روسيا ٢٥٠٠ مليون جنيه تعويضاً من المانيا .

١٢ – ختمت المناقشات في مجلس العموم البريطاني حول القضية الفلسطينية وقد قال بيفن في اثناء خطابه : ان شعور العرب لم يقدر حق قدره .

١٥ – وقع اختيار المجلس الايراني على المردار فاخر حكمت لتأليف الوزارة الايرانية .

١٦ – فشل موتمر وزراء الخارجية بعد ان لم يتوصلوا الى اي حل للمسائل المختلف عليها .

– انسحب البريطانيون من تل ابيب وما جاورها وتولى الحرس اليهودي حفظ الامن فيها .

١٧ – اذاع رؤساء الحكومات العربية في القاهرة البيان الرسمي عن اجتماعاتهم بشأن فلسطين . وقرروا اتخاذ التدابير الحاسمة لاحباط مشروع التقسيم ومجابهة كل احتمال .

– كلف القائد فوزي القاوقجي رسمياً باستلام قيادة القوات العربية غير النظامية في سبيل الدفاع عن فلسطين .

١٩ – طلب ترومن من الكونغرس ارصاد ١٧ مليار دولار لتنفيذ مشروع مارشال لمساعدة اوربا في مدة اربع سنوات .

– رفع المردار فاخر حكمت استقالته الى الشاه على اثر اخفاقه في تأليف الوزارة الايرانية الجديدة .

٢٠ – وقعت بعض اصابات بالكوليرا في منطقة حوران في سوريا .

٢٢ – بدأت محاكمة الاميرال توجو رئيس الوزارة اليابانية ايام الحرب امام المحكمة العسكرية الدولية .

– عهد شاه ايران الى السيد محمد حكيمي بتأليف حكومة ايرانية جديدة .

– القي القبض على السيد احمد قوام السلطنة رئيس الوزارة الايرانية السابق بينما كان على وشك السفر بالطائرة الى الولايات المتحدة .

– قدم وزير روسيا المفوض في باريس الى الحكومة الفرنسية مذكرة احتجاج لانها منعت الارمن من مغادرة فرنسا .

٢٣ – رفض المجلس الياباني تجديد تأجير القواعد العسكرية بيابانها لاميركا .

٢٤ – رفعت حالة الحصار في تركيا بعد ان دامت سبع سنوات وقد اطلق سراح جميع الموقوفين السياسيين .

٢٦ – اقفلت المفوضية السوفياتية في طهران ابوابها ، وقد غادرها الوزير المفوض وموظفو سفارته الى دلهي الجديدة .

– استؤنفت المحادثات المالية بين مصر وبريطانيا .

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، لبنان